٧

أنماط الإحالة في القصص القرآني

قصة موسى عليه السلام نموذجًا

د. مليحة بنت محمد القحطاني

الأستاذ المساعد بكلية التربية

جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز

• حصلت على درجة الماجستير من كلية التربية بجامعة الرياض للبنات، وكانت أطروحته بعنوان: «**المسائل النحوية والصرفية في كتاب فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب للطيبي من سورتي (المائدة والأنعام): دراسة نحوية تحليلية**».

• حصل على درجة الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة الملك سعود، وكانت أطروحته بعنوان: «**تقييد الفعل بحرف الجر دراسة تركيبية دلالية في المعلقات**».

E : ml.algahtani@psau.edu.sa

الملخص

موضوع البحث: أنماط الإحالة في القصص القرآني: قصة موسى عليه السلام نموذجًا.

أهداف البحث: الكشف عن الظواهر التركيبية والدلالية للإحالة وتنوعها وتحولها، واحتواء بعضها لبعض.

منهج البحث: المنهج الوصفي الاستقرائي.

أهم النتائج:

- الإحالة بأنواعها المختلفة تسهم في تعليق الكلام بعضه ببعض، وتعتبر الضمائر أكثر الأدوات الإحالية تحقيقًا للتماسك والترابط.

- دور الإحالة في توفير الانسجام والتماسك النصي، حيث إن المعنى الإحالي لا يخضع لقيود نحوية، بل يخضع لقيود دلالية.

- الكشف عن وجوه الإعجاز القرآني من خلال تماسكه، بتحليل عناصر الإحالة وبيان آثارها.

التوصيات:

تعد الإحالة من أكثر الظواهر اللغوية انتشارًا في النصوص، فلا تكاد تخلو منها جملة أو نص، مما يتطلب على الباحثين مزيدًا من الدراسة لإبراز أثر الإحالة في تحديد دلالة الجملة وضبطها، وإزالة ما قد يلبس بها.

الكلمات المفتاحية: الإحالة، القبلية، البعدية، الرتبة، الإشارة.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد جاء القرآن الكريم نصًّا معجزًا في بلاغته وفصاحته وهدايته... إلى آخر وجوه إعجازه التي لا تنفد، ومن هذه الوجوه ما يتجلى فيه من آيات الاتساق، وعلامات الانسجام، وقوة التماسك بين أجزائه وسوره وآياته وألفاظه.

المتأمل لتراثنا العربي يجد أن المفسرين والأصوليين قد لمسوا هذا الجانب، ووضعوا أيديهم على بعض مظاهره، فأسهموا إسهامًا كبيرًا في تحليل النصوص، وأشاروا إلى كثير من قضايا الربط والتماسك من خلال نظرية النظم وسياق الحال، ومن ثم اهتموا باستخراج الوسائل والأدوات ودورها في تحقيق الوحدة النصية، ولاسيما في تحليلهم للنص القرآني على أنه وحدة تكاملية متسقة، بحيث لا يستقل منه جزء عن الآخر، وهو ما عبر عنه السيوطي في حديثه عن تعالق أجزاء النص القرآني قائلًا: «ارتباط آي القرآن بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني- علم عظيم، لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ثم فتح الله لنا فيه»[(١)].

ومن أهم الأدوات التي تسهم مع غيرها في تحقيق الترابط والاتساق النصي أداة الإحالة؛ التي تقوم بدور أساس في التواصل المستمر داخل النص أو الخطاب؛ لذا تُعدّ الإحالة من أكثر الظواهر اللغوية انتشارًا في النصوص، فلا تكاد تخلو منها جملة أو نص.

الإحالة تكسب الكلام قوة في المعنى، وتزيده إبداعًا في النظم، وتمد جسورًا من التواصل بين أجزائه المتباعدة؛ ومن ثم تعد من أهم وسائل الاتساق والانسجام

(١) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (٣/ ٣٦٩).

اللغوي من خلال دورها في ربط أجزاء الجملة الواحدة من ناحية، وربط الجمل بعضها ببعض داخل النص من ناحية أخرى، بالإضافة إلى دورها الدلالي والمعنوي الذي يسهم في إيصال المعنى المراد للقارئ من جهة، وفي إثراء دلالة النص من جهة أخرى. ومن هنا جاءت فكرة هذه الدراسة عن: (**الإحالة في القصص القرآني: قصة موسى عليه السلام نموذجًا**).

وتسعى هذه الدراسة إلى بيان دور الإحالة النصية في القصص القرآني، انطلاقًا من جملة من الشواهد المنتقاة من قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم، ويكتسب هذا البحث أهميته من تركيزه على قصة موسى عليه السلام التي تكررت في القرآن الكريم، فهو محاولة للكشف عن وجوه الإعجاز القرآني من خلال حسن تناسبه وتناسقه، ورصد ظاهرة لغوية نصية، وتحليلها وبيان دورها الأساسي في تلاحم النص القرآني.

تساؤلات البحث:

يجيب هذا البحث عن جملة من التساؤلات، تتمثل فيما يأتي:

ما مفهوم الإحالة لغةً واصطلاحًا؟

ما دلالات حركات الإحالة في القصص القرآني؟

ما الأنماط الإحالية، وكيف يتجلى حضورها في قصة موسى عليه السلام؟

الدراسات السابقة:

من أهم الدراسات السابقة حول موضوع الإحالة دراسة بعنوان: (الإحالة في النص القرآني)[1]، تناولت هذه الدراسة معنى الإحالة ومفهومها وعناصرها ومعايير تصنيفها، ومظاهر الإحالة في النص القرآني، ووظائفها، وكانت دراسته

(١) الإحالة في النص القرآني، ياسين فوزي أحمد، رسالة ماجستير، الأردن، كلية الآداب، جامعة اليرموك، ١٤٢٧هـ.

لهذه القضية في ضوء جهود علماء اللغة القدماء والمعاصرين.

ودراسة ثانية بعنوان: (الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النص القرآني)[١]، وقد تناولت معنى الإحالة وعناصرها وأدوات الاتساق الإحالي، واقتصرت على الضمائر وتأثيرها في ترابط النص القرآني.

وسيكون هذا البحث مختلفًا عن هذه الدراسات السابقة بما ينتهجه من تركيز على عملية الاستقراء لنماذج من قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم، بهدف الكشف عن الظواهر التركيبية والدلالية للإحالة وتنوعها وتحولها، واحتواء بعضها لبعض.

وسيتناول هذا البحث مفهوم الإحالة لغةً واصطلاحًا، وأقسامها وعناصرها، وتطبيق الأبعاد الدلالية لأنماط الإحالة في صور الاستعمال القرآني لقصة موسى عليه السلام، ببيان ما اشتملت عليه من أنماط إحالية، ودور هذه الأنماط في تماسك النص واتساقه، وإثراء دلالته، ثم يختم البحث بخاتمة تبرز أهم نتائجه، وأتبعها بمصادر الدراسة ومراجعها.

(١) الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النص القرآني، نائل محمد إسماعيل، مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية، م (٣)، غ (١)، ٢٠١١م.

مفهوم الإحالة

أولًا: تعريف الإحالة لغة:

الإحالة مصدر من الفعل (أحال)، وهو يدور في معاجم العربية[١]، حول معاني التغيير والتحول، ونقل الشيء من حال إلى حال.

فيقال: أحال الرجل يحول، مثل: تحول من موضع إلى موضع، وحال الشيء نفسه يحول حولًا، بمعنيين: يكون تغييرًا ويكون تحولًا، والمحال من الكلام: ما عدل عن وجهه، وحوّله جعله محالًا[٢].

وفي الحديث: «**من أحال دخل الجنة**»، والمعنى: أي: أسلم، يعني: أنه تحول من الكفر إلى الإسلام[٣].

وروى أبو عمرو الحديث: «**كان رسول الله ﷺ يتحولنا بالموعظة**»[٤]، والمعنى: تحول بالنصيحة والوصية والموعظة، أي: توخى الحال التي ينشط فيها لقبول ذلك منه[٥].

وذكر ابن فارس أن الحول يستعار في كل شيء يتحرك، يقال: حالت الدار وأحالت وأحولت: أتى عليها الحول، وأحولت بالمكان، أي: أقمت به حولًا، ويقال: استحلت الشخص، أي: نظرت هل يتحرك، والحيلة والحويل والمحاولة، فكأنه يدور حوالي الشيء ليدركه[٦]، قال الشاعر:

---

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس (٢/ ١٢٢) (حول)، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، أبو النصر بن إسماعيل (٤/ ١٦٧٩ – ١٦٨٠) (حول)، وتاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، (١٦/ ٣٦٦ – ٣٦٧) (حول).

(٢) لسان العرب، ابن منظور(١١/ ١٨٦، ١٨٧)، مادة (حول).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (١/ ٤٦٣).

(٤) صحيح البخاري، البخاري، محمد بن إسماعيل (٥/ ٢٣٥٥)، باب الموعظة ساعة بعد ساعة.

(٥) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيدة، أبو الحسن علي بن اسماعيل (٤/ ٩) (حول).

(٦) مقاييس اللغة، ابن فارس (٢/ ١٢٢) (حول).

وذاتِ اسْمَـيْنِ والأَلْـوَانُ شَـتّى تُحَمَّـقُ وَهْـيَ كَيِّسَـةُ الـحَوِيْلِ[١]

ومن هذا يظهر أن دلالة (الإحالة) في اللغة قد تطورت عن طريق الاستعارة[٢] التي نقلتها من الحسيات إلى المعنويات، ومن هنا صارت الإحالة في الألفاظ دالة على النقل والتوجيه، وهذه دلالة مهمة ينطلق منها البحث هنا في دراسته للإحالة، ليبرز أثر العنصر الإحالي في تحديد دلالة الجملة، وضبطها، وإزالة ما قد يلتبس بها، وذلك بالدراسة الدلالية للإحالة ودورها الأساسي في ترابط المعاني باختلاف السياقات المتعددة.

ثانيًا: تعريف الإحالة اصطلاحًا:

الإحالة reference هي من أهم وسائل الترابط النصي الذي يُوجد علاقة بين عنصر لغوي وآخر لغوي أو خارجي، وقد عرّفها دي بوجراند بأنها: (العلاقة بين العبارات والأشياء والأحداث والمواقف في العالم الذي يدل عليه بالعبارات ذات الطابع الاختياري في نص ما، إذ تشير إلى شيء ينتمي إلى نفس عالم النص)[٣]، وعرّفها جون ليونز بأنها: (العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات)[٤].

وعرفها نائل إسماعيل بأنها: (علاقة معنوية بين ألفاظ أو أسماء معيّنة وما تشير إليه من مسميات أو أشياء – داخل النص أو خارجه- يدل عليها السياق أو المقام، عن طريق ألفاظ أو أدوات محددة -كالضمير واسم الإشارة واسم الموصول-، وتشير إلى مواقف سابقة ولاحقة في النص)[٥].

(١) ديوان الكميت، الأسدي، الكميت بن زيد، ص (٣٥٤). وتهذيب اللغة، الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (٩/ ٣٢٤)، والحيوان، الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (٧/ ١٨).

(٢) اللغة، جوزيف فقد ريس، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، ص(٢٦٥).

(٣) مقدمة النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: تمام حسان، ص(٣٢).

(٤) نحو النص، اتجاه تجديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، ص(١١٦).

(٥) الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النص القرآني، نائل إسماعيل، ع (١٣)، ص (١٠٦٤).

ومن هذا يظهر أن الإحالة علاقة دلالية بين أجزاء النص، تعيد بعضها إلى بعض، وتؤكد ترابطها وتلاحمها عن طريق عناصر لغوية لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، وإنما تحيل إلى عنصر آخر، لذا تسمّى عناصر محيلة، مثل الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة...، وذلك أن العناصر الإحالية تكتسب دلالتها بالعودة إلى ما تشير إليه، وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر.

ومن هنا نجد أن المعنى اللغوي للإحالة ينسحب على الاستخدام الاصطلاحي فهي عبارة عن علاقة قائمة بين عنصرين، يتم من خلالها التحول من عنصر إحالي إلى عنصر إشاري يفسره ويعين دلالته ويبينها.

ويتولد عنصر الانسجام من خلال تطابق السمات الدلالية بين العناصر الإحالية والعناصر الإشارية، لذا عدّ محمد خطابي الإحالة: (علاقة دلالية، ومن ثم لا تخضع لقيود نحوية إلا أنها تخضع لقيد دلالي وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه)[1].

وقد فرق الباحثون بين الإحالة الخارجية (المقامية)، والإحالة الداخلية (النصية)، ويقصد بالإحالة الخارجية، ذلك النوع الذي يوجه المخاطب إلى شيء أو شخص في العالم الخارجي، حيث تسهم في خلق النص باعتبارها تربط اللغة بسياق المقام، وهذا النوع لا يمنح النص سمة التماسك؛ لأنه لا يربط عنصرين معًا في السياق[2]، ويمكن التمثيل لهذا النوع باسم الإشارة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣]، حيث أشير به إلى كبير الأصنام، التي جعلوها آلهة.

(١) لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، محمد خطابي، ص(١٧).
(٢) المرجع السابق ص (١٧، ١٨).

وأما الإحالة الداخلية فتستخدم لتدل على ذلك النوع الذي يُحال فيه المخاطب على عنصر لغوي داخل النص[١]، ويمثل لهذا النوع الضمير «هم» في الآية نفسها في قوله تعالى: ﴿كَبِيرُهُمْ﴾ الذي يحيل على الآلهة التي وردت قبل ذلك في قوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا﴾ [الأنبياء: ٦٢]. وتنقسم الإحالة النصية التي تركز على العلاقات اللغوية في النص ذاته إلى قسمين:[٢]

إحالة داخلية قبلية: تتحقق باستعمال كلمة تشير إلى كلمة أخرى سبق التلفظ بها.

إحالة داخلية بعدية: تتحقق باستعمال كلمة تشير بها إلى كلمة أخرى مذكورة لاحقًا في النص.

وتتجسد الإحالة بتضافر مجموعة من العناصر الآتية[٣]:

المتكلم أو الكاتب: الذي تتم الإحالة بقصده المعنوي، فهي ليست من خواص التعبيرات اللغوية بمفردها، وإنما هي عمل إنساني.

اللفظ المحيل أو العنصر الإحالي: وهو كل مكون يحتاج في فهمه إلى مكون آخر يفسره، ومن المحيلات: الضمائر، أسماء الإشارة، الأسماء الموصولة، التعريف أو (التحديد).

المحال إليه أو العنصر الإشاري؛ ويسمى أيضًا (عنصر علاقة) وهو المفسر أو العائد إليه، ويوجد إما داخل النص أو خارجه، وتمثل إما كلمات أو عبارات أو دلالات.

١ - العلاقة بين المحيل والمحال إليه: وهي علاقة ينبغي أن تتسم بالتوافق والانسجام.

(١) لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، محمد خطابي، ص (١٧، ١٨).
(٢) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، إبراهيم فقي (١/ ١).
(٣) لسانيات النص، محمد خطابي، ص (١٦، ١٧).

الإحالة وحضورها في القصص القرآني: قصة موسى نموذجًا

أولاً: الإحالة الضميرية

للإحالة الضميرية دور بالغ الأهمية في اتساق النص، وانسجامه وتماسكه؛ نظرًا لما للضمائر من دور محوري في بناء النص؛ فلا تتحول الجمل المتتابعة إلى نص إلا إذا وجدت فيما بينها سلاسل الإضمار التي تشد بعضها إلى بعض؛ ومن ثم ينظر اللغويون النصيون المعاصرون إلى «النصوص بوصفها سلاسل من الإضمار»(١).

وتشكيل المعنى وإبرازه يعتمد بصورة أساسية على وضع الضمائر داخل النص، واكتشاف ما تحيل إليه؛ وهو ما يجعل الضمائر في مقدمة الوسائل التي تحقق التماسك النصي(٢).

وقد ألمح اللغويون والنحاة العرب إلى هذا الدور الذي تؤديه الضمائر في تحقيق التماسك النصي في حديثهم عن وظيفة الربط التي تؤديها الضمائر، وامتياز الضمائر في هذا الصدد عن غيرها من الروابط؛ وإلى هذا يشير سيبويه بقوله: «وإنما صار الإضمار معرفة؛ لأنك إنما تضمر اسمًا بعد ما تعلم أن من يحدث قد تعرف من تعني وما تعني، وإنك تريد شيئًا يعلمه»(٣).

والفكرة نفسها يؤكدها المبرد قائلًا: «وإنما صار الضمير معرفة؛ لإنك لا تضمره إلا بعد ما يعرفه السامع؛ وذلك أنك لا تقول مررت به، ولا ضربته، ولا ذهب، ولا شيئًا من ذلك حتى تعرفه، وتدري إلى من يرجع هذا الضمير»(٤).

وفي هذا تأكيد لأهمية معرفة مرجع الضمير وما يحيل إليه، وبالتالي تأكيد لأهمية

(١) الروابط النصية في السور المدنية، عبد الرحمن محمد حسين عبد المعبود، ص (٢٩).
(٢) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، ص (١٦١).
(٣) الكتاب، سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (٢/ ٦).
(٤) المقتضب، المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (٤/ ٢٨٠).

الإحالة الضميرية في بناء النص وتماسكه، وهذا ما يؤكد – أيضًا – قول ابن يعيش: «المعارف خمسة .... منها الضمير، وهو ضرب من الكناية، فكل مضمر كناية، وليس كل كناية مضمرًا. وإنما صارت المضمرات معارف؛ لأنك لا تضمر الاسم إلا وقد علم السامع على من يعود، فلا تقول: ضربته، ولا مررت به، حتى يعرفه، ويدري من هو؟»[١].

وتستمد الإحالة الضميرية –أيضًا– قيمتها وأهميتها في إقامة النص وتماسكه من كون الضمير هو الأصل في الربط بين العناصر الاسمية وما سواه من الروابط ينوب عنه، ويحل محله؛ ومن ثم «لا يعدل التركيب عن الضمير إلا لغاية يتغياها، ومعنى يريغ إليه في مواقف معينة تقتضي ذلك، وقد نظر النحاة لوسائل الربط الأخرى على أنها نائبة عن الضمير، على اعتبار أن الضمير هو الأصل في الربط، ومرادهم بالأصل أنه الأكثر الشائع في الاستعمال، لا الأصل الذي تتفرع عنه فروع أخرى»[٢].

ومما يؤكد كون الضمير هو الأصل في الربط بين العناصر الاسمية في الكلم العربي أن دليل صحة الربط بغيره من الروابط «هو صحة حلول الضمير الرابط محلها، دون أن يتغير المعنى»[٣].

ومن مواضع الإحالة الضميرية في قصة موسى عليه السلام ما يؤكد ما ذهب إليه النحاة من كون الضمير هو الأصل في الربط؛ يتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ﴾ [طه: ٦٣]، حيث قيل إن اللام في قوله: ﴿لَسَٰحِرَٰنِ﴾ داخلة على جملة،

(١) شرح المفصل، ابن يعيش، موفق بن علي ابن يعيش (٣/ ٣٤٨).
(٢) بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، ص (١١٠).
(٣) البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، تمام حسان، ص (١٢١).

﴿لَسَٰحِرَٰنِ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، أي: لهما ساحران[١]، وعلى هذا يكون الربط بالضمير قد وقع حال كون الضمير محذوفًا، وقد جعل ابن هشام ذلك دليلًا على كون الضمير هو الأصل في الربط، فقال: «روابط الجملة بها هي خبر عنه، وهي عشرة، أحدها: الضمير، وهو الأصل؛ وبهذا يربط به مذكورًا كزيد ضربته، ومحذوفًا مرفوعًا، نحو: ﴿إِنَّ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ إذا قدر: لهما ساحران»[٢].

ومن هذا يتضح أن للضمائر دورًا كبيرًا في شد البنى النصية الصغرى والكبرى فهي تكتسب أهميتها بصفتها نائبة عن الأسماء والأفعال والعبارات والجمل المتتالية، ولا تقف أهميتها عند هذا الحد، بل تتعداه إلى كونها تربط بين أجزاء النص المختلفة، شكلًا ودلالة، داخليًّا وخارجيًّا، وسابقة ولاحقة، بل يقتضي دورها في ربط الكلم بعضه ببعض «بحيث لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، ويجعل هذه بسبب من تلك»[٣].

والربط بالضمير بديل عن إعادة الذكر، و«أيسر في الاستعمال، وأدعى إلى الخفة والاختصار، بل إن الضمير إذا اتصل فلربما أضاف إلى الخفة عنصرًا ثالثًا هو الاقتصار، وهذه العناصر الثلاثة هي من مطالب الاستعمال اللغوي»[٤].

وقد كان للإحالة الضميرية حضور غالب في قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم، وأدَّت دورًا ملحوظًا في تماسك النص واتساقه وتعددت أنواعها وأنماطها بين إحالة إلى معين، وأخرى إلى غير معين تعيينًا قاطعًا، والإحالة إلى معين انقسمت بدورها إلى معين صريح، ومعين غير صريح، كما كان منها إحالات قبلية، وأخرى بعدية، وكان من الإحالات القبلية ما أحال إلى متقدم في اللفظ والرتبة معًا، ومنها

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري (٣/ ٧٢).
(٢) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، ص (٦٤٧).
(٣) دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن (١/ ٥٩).
(٤) البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص (١١٩).

ما أحال إلى متقدم في اللفظ متأخر في الرتبة ومن الإحالات البعدية ما أحال إلى متأخر لفظًا، متقدم رتبة، ومنها ما أحال إلى متأخر لفظًا ورتبة.

ويمكن للبحث هنا بيان هذه الأنماط المتنوعة للإحالة الضميرية ومواقعها وأثرها في تماسك النص وإثراء الدلالة والإعجاز في قصة موسى عليه السلام على النحو الآتي:

١ – الإحالة الضميرية إلى معين:

الغالب في الإحالة الضميرية أن تكون إلى محال إليه معين، يتمثل في كلمة محددة يعود إليها الضمير، وهذه الكلمة المحددة التي يحيل إليها الضمير قد يكون من السهل الاهتداء إليها تارة، وقد يحتاج الاهتداء إليها إلى فكر وتأمل تارة أخرى، ومن ثم يمكن أن تنقسم الإحالة الضميرية إلى معين قسمين؛ كالآتي:

أ – **الإحالة الضميرية إلى معين صريح**، وفي هذه الحالة يكون المحال إليه واضحًا يمكن للقارئ أن يهتدي إليه في سهولة ويسر؛ كما يتضح في قوله تعالى: ﴿فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ [البقرة: ٦١]، فالإحالة الضميرية هنا بضمير الغائب المتصل بالكلمات الخمس ﴿بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ تشير إلى محال إليه معين هو ﴿ٱلۡأَرۡضُ﴾ وبإمكان القارئ أن يهتدي إليه دون إعمال فكر، ولا طول نظر؛ لأنه لا لبس فيه، ولا خفاء، وهذا النحو من الإحالة الضميرية هو الغالب في القرآن الكريم[(١)]، إذا قورن بالإحالة الضميرية إلى معين غير صريح؛ ومن ثم كثرت نماذجه في قصة موسى عليه السلام.

ومن ذلك – علاوة على ما تقدم – قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم: ٥١]، فالضمير في ﴿إِنَّهُۥ﴾ يحيل إلى موسى عليه السلام، بلا

(١) ينظر: مرجع الضمير في القرآن الكريم، محمد حسنين صبرة، ص (١٥).

لبس أو غموض.

وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [المؤمنون: ٤٥]، فأحال الضمير في ﴿وَأَخَاهُ﴾ إلى ﴿مُوسَىٰ﴾ إحالة واضحة، يقف عليها القارئ بسهولة ويسر؛ وكذلك الحال في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٥]، حيث تحيل الهاء في ﴿مَعَهُ﴾، و﴿أَخَاهُ﴾: إحالة جلية إلى موسى عليه السلام. وفي قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الشعراء: ٤٥] تحيل الهاء في عصاه إلى موسى عليه السلام، ويحيل الضمير المنفصل (هي) إلى العصا، وتحيل واو الجماعة في ﴿يَأْفِكُونَ﴾ إلى السحرة، وكلها إحالات واضحة يهتدي إليها القارئ في سهولة ويسر. وأغلب الإحالات الضميرية في قصة موسى عليه السلام تجري على هذا النهج.

ب- الإحالة الضميرية إلى معين غير صريح، وفي هذه الحالة يكون وقوف القارئ على المحال إليه محتاجًا إلى مزيد من التأمل، وإعمال الفكر، فلا تمنح الدلالة نفسها للقارئ مجانًا، بل تتطلب منه دفع الثمن الموصل إليها؛ والمتمثل في تدبر المقروء، وتوظيف ما لديه من ثقافة سواء أكانت ثقافة لغوية أم غير لغوية، يتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

فالضمير في قوله: ﴿يَجِدُونَهُ﴾ يحيل إلى الرسول محمد ﷺ، والمفهوم من القرينة ﴿مَكْتُوبًا﴾، ومعناه: وجدان صفاته ونعوته، التي لا يشبهه فيها غيره، ومن ثم جعلت هذه الصفات خاصة به بمنزلة ذاته، وقد استخدم معها ضمير الرسول النبي الأمي مجازًا؛ لأن الموجود في التوراة والإنجيل نعته وصفاته، أما الذات فليس مما يكتب، والإحالة هنا دلت على أنهم يجدونه حقيقة لا تقبل الالتباس[1].

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٩/ ١٩٦).

ومن صور الإحالة الضميرية إلى معين غير صريح أن تقع الإحالة إلى ملابس المذكور[١]، أو إلى مضاف محذوف[٢]، ومن الأول قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [البقرة:٥١]، فالضمير في ﴿بَعْدِهِۦ﴾ قد يتبادر إلى الذهن أنه يحيل إلى موسى عليه السلام ؛ وذلك غير صحيح؛ لأنهم لم يتخذوا العجل بعد موسى، بل اتخذوه في حياته، ومن ثم فالإحالة ليست إلى موسى ذاته بل إلى ملابسه، أي: من بعد غيبته عنكم حين ذهب لميقات ربه[٣]، أو: من بعد مضيه للميقات[٤].

وكذلك الحال في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٩٢]، أي: من بعد النظر في الآيات، وتأمل البينات التي جاءكم بها موسى عليه السلام، وهذا يدل على أنهم فعلوا ذالك بعد مهلة من النظر في الآيات؛ وذلك أعظم لجرمهم[٥].

ومن الثاني – أعني: الإحالة إلى مضاف محذوف – قوله – تعالى-: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٩]، فالضمير في ﴿ لَعَلَّهُمْ ﴾ يحيل إلى مضاف محذوف، والتقدير: قوم موسى فذكر موسى، والمراد قومه، كما يقال: هاشم وثقيف، والمراد قومها[٦]، والمعنى: لقد آتينا قوم موسى التوراة لعلهم يعملون بشرائعها، ومواعظها[٧].

(١) ينظر: مرجع الضمير في القرآن الكريم، صبرة، ص (٢٣).
(٢) ينظر: المرجع السابق، ص (٢٤).
(٣) ينظر: صفوة التفاسير، الصابوني، محمد علي، ص (٥٠).
(٤) ينظر: محاسن التأويل، القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد، ص (٣٠٥).
(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢/ ٣٠، ٣١).
(٦) ينظر: تفسير الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر (٢٣/ ٢٧٩).
(٧) ينظر: الكشاف، الزمخشري (٣/ ١٨٩)، وتفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، (٢/ ٤٧٠).

ولا يجوز أن تكون الإحالة بـ(هم) في ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ إلى فرعون وملئه المذكورين قبل هذه الآية في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٥ - ٤٦] لأن بني إسرائيل إنما أوتوا التوراة بعد إغراق فرعون وملئه[(١)]؛ بدليل قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [القصص: ٤٣]. فالمضاف هنا «قوم» قد حذف؛ للعلم به، ولكن ظل الالتفات إليه في الكلام قائمًا كأنه ملفوظ به؛ ومن ثم عاد الضمير إليه؛ كما لو كان مذكورًا[(٢)]؛ ولهذا نظائر في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ﴾ [النور: ٤٠] والتقدير: أو كذى ظلمات؛ ولذلك عاد الضمير عليه في قوله: ﴿يَغْشَىٰهُ﴾[(٣)].

وجعل الطاهر بن عاشور الإحالة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ من قبيل الإحالة المقامية، فقال: «والتعريف في الكتاب للعهد وهو التوراة. ولذلك كان ضمير ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ظاهر العود إلى غير مذكور في الكلام بل إلى معلوم من المقام وهم القوم المخاطبون بالتوراة وهم بنو إسرائيل، فاتساق الضمائر ظاهر في المقام دون حاجة إلى تأويل قوله: ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى﴾ بمعنى: آتينا قوم موسى، كما سلكه في الكشاف»[(٤)].

وهذا التعدد في وجهات النظر يدل في رأيي على ما للإحالة من دور مهم في إثراء دلالة النص، وفتح آفاق تأويله. وتبقى هذه النماذج وغيرها من الإحالات التي تحيل إلى مرجع غير صريح، مفهوم من السياق شاهدًا على أن الإحالة الضميرية في أحيان كثيرة تحتاج إلى إعمال فكر، وطول نظر، والاهتداء إليها يتطلب

(١) ينظر: الكشاف، الزمخشري (٣/ ١٨٩)، وإعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدوريش (٦/ ٥٢٠).
(٢) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (١/ ١٤٠).
(٣) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (١/ ١٤٠).
(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٨/ ٦٦).

حظًّا وافرًا من الثقافة اللغوية، وطول تمرس بالتراكيب العربية، وما يطرأ عليها من ذكر وحذف... إلخ.

وينسجم هذا مع الإعجاز القرآني، وتحديه للعرب الذين نزل فيهم القرآن؛ حيث شحذ قرائحهم بهذه الإحالات التي تمتحن ذكاءهم، وتختبر فصاحتهم، دون أن تصل بهم إلى درجة التعمية، بل تعطيهم دائمًا من الأدلة المعنوية واللفظية ما يرشدهم إلى فك لغز الإحالة؛ وعندئذ يشعرون بمتعة البلاغة القرآنية، ويستقر في وجدانهم إعجازه.

٢- الإحالة الضميرية إلى غير معين:

قد تقع الإحالة الضميرية إلى غير معين تعيينًا قاطعًا وذلك بأن يتقدم على الضمير أكثر من لفظ صالح للإحالة إليه بهذا الضمير؛ ومن ثم لا تتعين الإحالة إلى واحد من هذه الألفاظ تحديدًا[١]؛ وهو ما يفتح الباب للاجتهاد والنظر والتأمل لترجيح أحد الألفاظ على غيره باعتباره الأولى بالإحالة إليه.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ﴾ [طه: ٣٦-٣٩]، فالهاء في ﴿ ٱقْذِفِيهِ ﴾ الأولى و﴿ يَأْخُذْهُ ﴾ تحيل إلى موسى عليه السلام إحالة صريحة معينة تعيينًا قاطعًا، بخلاف الهاء في ﴿ ٱقْذِفِيهِ ﴾ الثانية، و﴿ فَلْيُلْقِهِ ﴾ فإنها تحيل إلى غير معين تعيينًا قاطعًا؛ لأنها يحتمل أن تحيل إلى موسى عليه السلام؛ كما يحتمل أن تحيل إلى التابوت.

ومن هنا اختلفت وجهات النظر في المحال إليه هنا، فذهب فريق إلى أنه التابوت[٢]،

(١) ينظر: مرجع الضمير في القرآن الكريم، صبرة، ص(٢٦).

(٢) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (٧/ ٣٣٠).

وذهب فريق آخر إلى أنه موسى[(١)] عليه السلام، واجتهد كل فريق في الاحتجاج لما ذهب إليه، فمن جعلوا الإحالة إلى التابوت، احتجوا بأن الأصل في الضمير أن يعود إلى أقرب مذكور، والتابوت هو الأقرب في الذكر[(٢)].

وأما من رجحوا كون الإحالة إلى موسى عليه السلام، فاحتجوا بأن هذا هو الأليق بتماسك النص وانسجامه واتساقه، وفي خلافه هجنة وتنافر، وإخراج للقرآن عن إعجازه[(٣)]، وفي هذا يقول الزمخشري: «والضمائر كلها راجعة إلى موسى ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التابوت: فيه هجنة، لما يؤدى إليه من تنافر النظم.

فإن قلت: المقذوف في البحر هو التابوت، وكذلك الملقى إلى الساحل. قلت: ما ضرك لو قلت: المقذوف والملقى هو موسى في جوف التابوت، حتى لا تفرق الضمائر فيتنافر عليك النظم الذي هو أم إعجاز القرآن. والقانون الذي وقع عليه التحدّي، ومراعاته أهم ما يجب على المفسر»[(٤)].

والبحث هنا يسير في ركاب هذا الفريق المرجح لكون الإحالة في جميع الضمائر هنا إلى موسى عليه السلام؛ لتحقق الإحالة وظيفتها المتمثلة في المحافظة على تماسك النص، وإبراز اتساقه، وإظهار انسجامه، وللإحالة الضميرية قدرتها الفائقة على إحداث هذا التماسك والاتساق والانسجام بين أجزاء النص متى كانت متفقة غير متنافرة، وقد جعل السيوطي ذلك قاعدة، فقال: «قاعدة: الأصل توافق الضمائر في المرجع؛ حذرًا من التشتيت»[(٥)].

(١) ينظر: الكشاف، الزمخشري (٣/ ٦٣).
(٢) ينظر: الدر المصون، السمين الحلبي (٨/ ٣٥).
(٣) ينظر: الدر المصون، السمين الحلبي (٨/ ٣٥)، واللباب في علوم الكتاب، الحنبلي، أبو حفص عمر بن علي (١٣/ ٢٣٤).
(٤) الكشاف، الزمخشري (٣/ ٦٣).
(٥) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٢/ ٣٣٨).

وما احتج به من رجحوا كون الإحالة إلى التابوت؛ لأنه أقرب مذكور إلى الضمير في ﴿فَأَقْذِفِيهِ﴾ – يجاب عنه بأن موسى هو المتحدث عنه في الآيات، بخلاف التابوت فإنه فضلة، وعود الضمير إلى المتحدث عنه أولى من عوده على الفضلة، ولو كانت الفضلة أقرب، فلا يلتفت إلى القرب في هذه الحالة[(١)]؛ ولهذا رد المفسرون على أبي محمد بن حزم في دعواه أن الضمير في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥] عائد على خنزير لا على لحم؛ لكون أقرب مذكور؛ فيحرم بذلك شحمه وغضروفه وعظمه وجلده لأن المحدث عنه هو ﴿لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾، لا خنزير[(٢)].

٣- الإحالة الضميرية القبلية:

في الإحالة القبلية يقع العنصر الإشاري (المحال إليه) قبل العنصر الإحالي (المحيل)، ويسبقه في الكلام، وجُلّ الإحالات الضميرية في قصة موسى عليه السلام وغيرها من آي القرآن الكريم تنتمي إلى هذا النوع من الإحالة بالقياس إلى الإحالة البعدية التي سيأتي الحديث عنها.

ومن هذا النمط الإحالي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [الأعراف: ١٠٣]، فالضمير في ﴿بَعْدِهِم﴾ يحيل إلى القرى، باعتبار أهلها، وقد جاء ذكر هذه القرى متقدمًا فيما سبق من آيات قبل هذه الآية، حيث قص الله تعالى على نبيه أخبار نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وما آل إليه أمرهم، وكل هؤلاء لم يبق منهم أحد، ثم أتبع ذلك بقصة موسى وفرعون وبني إسرائيل، إذ كانت معجزات موسى عليه السلام من أعظم المعجزات، وأمته من أكثر الأمم تكذيبًا وتعنتًا[(٣)].

(١) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان (٧/ ٣٣٠، ٣٣١)، والدر المصون، السمين الحلبي (٨/ ٣٥).
(٢) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان (٧/ ٣٣١)، والدر المصون، السمين الحلبي (٨/ ٣٥).
(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٩/ ٣٤).

وفي قوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف: ١٠٧]، جاءت الإحالة بالضمير الهاء إحالة قبلية إلى سابق مذكور وهو موسى المحال إليه، وابتدأ بذكر العصا دون سائر المعجزات؛ لأنها معجزة تحتوي على معجزات عدة، وقوله ﴿هِيَ﴾ ضمير منفصل يحيل أيضًا إلى (العصا) المتقدمة الذكر، وجاء في سياق التبيين، حيث تحولت هذه العصا إلى ثعبان حقيقي بائن للعيان.

وقد يكون المحال إليه المتقدم بعيدًا مفهومًا من السياق كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف:١٣٢]، فالضمير في (قالوا) يعود إلى آل فرعون الذين لم يزدهم ما حل بهم من عقاب وجدب ونقص في الثمرات إلا طغيانًا وتكذيبًا، فقد نسبوا كل ما أصابهم من السيئات إلى موسى ومن معه، ثم إنهم صارحوه بعدم الإيمان بأي آية يأتي بها، والهاء في ﴿بِهِۦ﴾ و﴿ بِهَا ﴾ يحيلان إلى معنى ﴿مَهْمَا﴾ ، لأن المراد به أيما شيء تأتينا به[(١)].

والإحالة الضميرية القبلية قد تقع على متقدم في اللفظ والرتبة، وقد تقع على متقدم في اللفظ متأخر في الرتبة؛ على النحو الآتي:

أ- الإحالة الضميرية إلى متقدم لفظًا ورتبة:

الأصل في الإحالة الضميرية أن تكون إلى محال إليه متقدم لفظًا ورتبة[(٢)]، وتقدمه لفظًا يعني كونه سابقًا على الضمير في الكلام، وأما تقدمه رتبة، فيعني أن تكون رتبته في الجملة العربية التقديم[(٣)]، مثل: المبتدأ؛ لأن الأصل فيه أن تسبق رتبته رتبة الخبر، والفاعل؛ لأن الأصل فيه أن تسبق رتبته رتبة المفعول به؛ وكذا الحال في اسم كان، واسم إن، فإن رتبتهما أسبق من رتبة خبر كان، وخبر إن.

(١) البحر المحيط، أبو حيان (٤/ ٣٧٠).
(٢) ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام (١/ ٥٨٠)، والبيان في روائع القرآن، تمام حسان ص(١٣٣).
(٣) ينظر: مرجع الضمير في القرآن، صبرة، ص(٣١).

وهذا النوع من الإحالة الضميرية كثير الوقوع في التراكيب القرآنية، وكثرت نماذجه في قصة موسى عليه السلام، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ ﴾ [البقرة:٦٠]، فالهاء في (قومه) تحيل إلى موسى عليه السلام، وهو متقدم في اللفظ كما هو واضح، ومتقدم أيضًا في الرتبة لأنه الفاعل الذي أسند إليه فعل الاستسقاء.

وكذلك الحال في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ ﴾ [البقرة: ٥٤]، حيث يحيل الضمير في ﴿لِقَوْمِهِۦ﴾ إلى موسى، وهو متقدم لفظًا، ورتبة؛ لأنه فاعل. ونحو هذا تمامًا قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾ [البقرة: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ ﴾ [البقرة: ٧٤]، وقوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة: ٢٠]، وقوله: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، وقوله: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٤٢]، وغير ذلك من الآيات. فأحال الضمير (هي) إلى ﴿قُلُوبُكُم﴾، التي تقدمت في سياق الآية، وهي – أيضًا – متقدمة في الرتبة؛ لأنها الفاعل الذي أسند إليه الفعل ﴿قَسَتْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾ [يونس: ٨٠] الضمير في ﴿لَهُم﴾ يحيل إلى السحرة، المتقدمين في اللفظ، والرتبة؛ لأنهم فاعل الفعل ﴿جَآءَ﴾.

ويطول بنا الحال لو حاولنا استقراء كل المواضع التي وقعت فيها الإحالة الضميرية إلى متقدم لفظًا ورتبة؛ لأن أغلب الإحالات في قصته عليه السلام – بل في القرآن بوجه عام – تندرج تحت هذا النمط الإحالي.

ب – الإحالة الضميرية إلى متقدم لفظًا متأخر رتبة:

ويتفق هذا النوع من الإحالة الضميرية مع النوع السابق في كون المحال إليه

(العنصر الإشاري) سابق في الكلام على الضمير (العنصر الإحالي، ولكن بالنظر إلى رتبة العنصر الإشاري في ضوء معطيات الرتبة في الجملة العربية، يظهر أن رتبته متأخرة؛ كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [غافر:٥١-٥٣]. فـ(هم) في قوله: ﴿مَعْذِرَتُهُمْ﴾ تعود على ﴿ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، فوقعت الإحالة بذلك على متقدم في اللفظ لكنه متأخر في الرتبة لأن ﴿ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ مفعول به، و﴿مَعْذِرَتُهُمْ﴾ فاعل، والأصل أن رتبة المفعول به متأخرة عن رتبة الفاعل، والتقدير: يوم لا تنفع المعذرة الظالمين.

وقد عدلت الآية الكريمة عن المحافظة على الرتبة التي تقتضي تقديم الفاعل على المفعول، فلم تأبه بها، ومالت إلى تقديم المفعول على الفاعل، وأحالت بالضمير (هم) إلى متقدم باللفظ متأخر في الرتبة؛ لتوحي بتأخر هذه المعذرة، فلم تأت المعذرة في مكانها من الجملة؛ إشعارًا بعدم مجيء هذه المعذرة في وقتها، وإنما أتت بعد فوات الأوان فلم تعد ذات جدوى؛ «لأنهم أعذروا في الدنيا بالإنذار من قبل الرسل والدنيا هي محل قبول العذر، أما الآخرة فلا اعتذار فيها ولا إنذار بل يكون لهم فيها التوبيخ والتقريع واللوم»(١).

وفي نحو هذا النمط من الإحالة يجب تقديم المفعول على الفاعل؛ لئلَّا يعود الضمير «على المفعول وهو متأخر لفظًا ورتبة، ولأجل ذلك لا يجيز أكثر النحويين نحو: زان نوره الشجر. بتقديم الفاعل على المفعول، لا في نثر، ولا في شعر، وأجازه فيهما الأخفش وابن جني من البصريين، وأبو عبد الله الطوال- بضم الطاء، وتخفيف الواو - من الكوفيين»(٢).

(١) بيان المعاني، آل غازي العاني، عبد القادر بن ملّا حويش (٣/ ٥٨٨).
(٢) شرح التصريح، الأزهري (١/ ٤١٥، ٤١٦)، وينظر: ضياء السالك، النجار: محمد عبد العزيز (٢/ ٣١).

٤ - الإحالة الضميرية البعدية:

في الإحالة البعدية يقع العنصر الإشاري (المحال إليه) بعد العنصر الإحالي (المحيل) المتمثل هنا في الضمير؛ فيتقدم الضمير على مرجعه، ولا يخلو الحال حينئذ من أمرين:

أحدهما: أن يكون المرجع المحال إليه متأخر في اللفظ، متقدم في الرتبة.

وثانيهما: أن يكون المرجع المحال إليه متأخر في اللفظ والرتبة جميعًا.

ومن ثم تنقسم الإحالة الضميرية البعدية - كما وردت في قصة موسى عليه السلام - قسمين كالآتي:

أ - الإحالة الضميرية إلى متأخر لفظًا متقدم رتبة:

في هذا النمط الإحالي يكون المحال إليه متأخرًا عن الضمير المحيل في اللفظ، ولكنه متقدم عليه في الرتبة؛ كما في قوله تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾ [طه:٦٨]، فالضمير في (نفسه) عائد على موسى وهو متأخر لفظًا متقدم رتبة[(١)]؛ بمعنى أن موسى وإن كان متأخرًا لفظًا فهو في تقدير التقديم لأنه فاعل للفعل (أوجس)، والضمير في تقدير التأخير[(٢)]، وحققت هذه الإحالة الاتساق والانسجام في النص.

ولم يرد هذا النمط الإحالي في قصة موسى عليه السلام إلا في هذا الموضع، بل إنه نمط نادر الوقوع في القرآن الكريم كله، فلم يرد في القرآن إلا في موضعين آخرين[(٣)] بالإضافة إلى الموضع الوارد من قصة موسى عليه السلام، هما قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [القصص:٧٨]، وقوله تعالى: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ [الرحمن: ٣٩]؛ حيث أحال الضمير (هم) المتصل بـ(ذنوبهم) في الآية الأولى إلى قوله: ﴿ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾، الذي تأخر عن الضمير المحيل، لكنه متقدم في الرتبة؛

(١) شرح المفصل، ابن يعيش (١/ ٢٣٥).
(٢) الكشاف، الزمخشري (٦/ ٣٥٤).
(٣) ينظر: الإتقان، السيوطي (٢/ ٣٣٥)، ومرجع الضمير في القرآن الكريم، صبرة، ص(٣٤).

لأنه نائب فاعل، وفي الآية الثانية يحيل الضمير المتصل بـ(ذنبه) على قوله: ﴿إِنسٌ﴾ وهو وإن تأخر لفظه، فرتبته متقدمة؛ لأنه نائب فاعل أيضًا.

ب – الإحالة الضميرية إلى متأخر لفظًا ورتبة:

الأصل في الإحالة الضميرية أن تكون إلى متقدم لفظًا ورتبة، ويجوز أن تكون إلى متقدم لفظًا متأخر رتبة، أو إلى متأخر لفظًا متقدم رتبة – كما تقدم بيانه – أما كونها إلى متأخر في اللفظ والرتبة جميعًا فهو خلاف الأصل؛ ومن ثم اختلف النحاة في جوازها؛ فأجازها بعضهم في الشعر والنثر جميعًا، وقصر آخرون جوازها على الشعر دون النثر، ومنعها الجمهور في الشعر والنثر جميعًا، ولا يتسع المقام هنا لتفصيل هذا الخلاف(١).

وإنما كانت الإحالة الضميرية إلى متأخر لفظًا ورتبة خلاف الأصل؛ نظرًا إلى وضع ضمير الغائب، الذي يقتضي تقدم المفسر عليه؛ لأنه وضع معرفة لا بنفسه، بل بسبب ما يعود عليه، فإن ذكر ولم يسبقه ما يفسره، بقي مبهمًا منكرًا، لا يعرف المراد به حتى يأتي مفسره بعده، وتنكيره خلاف وضعه(٢).

وإذا كان الأصل هو منع الإحالة الضميرية إلى المتأخر في اللفظ والرتبة جميعًا، فإن النحاة استثنوا من ذلك الأصل عدة مواضع يعود فيها الضمير على متأخر لفظًا ورتبة(٣)، ولكن هذه المواضع ندر وجودها في القرآن بشكل عام(٤)، وبالتالي انحصر ورود الإحالة الضميرية إلى متأخر لفظًا ورتبة في قصة موسى في مواضع

(١) ينظر: شرح الرضي على الكافية، الإستراباذي، (٢/ ٤٠٥، ٤٠٦).
(٢) ينظر في تفصيل هذا الخلاف في الإنصاف، المرداوي (١/ ٧٠)، وشرح المفصل، ابن يعيش (١/ ٧٦)، والتذييل والتكميل، أبو حيان، (٢/ ٢٦٥)، وشرح التسهيل، ابن مالك (١/ ١٦٠) وهمع الهوامع، السيوطي (١/ ٢٢١).
(٣) تنظر هذه المواضع في: التذييل والتكميل، أبو حيان (٢/ ٢٦٦)، وما بعدها، ومغني اللبيب، ابن هشام (٢/ ٥٦٢) وما بعدها، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الأشموني (٢/ ٦٠) وما بعدها.
(٤) ينظر: مرجع الضمير في القرآن الكريم، صبرة، ص(٣٤).

محددة، لا تكاد تخرج عن ضمير الشأن أو القصة، «وهو ضمير غائب يأتي صدر الجملة الخبرية دالًا على قصد المتكلم استعظام السامع حديثه. وتسمية البصريين له: ضمير الشأن والحديث إذا كان مذكرًا، وضمير القصة إذا كان مؤنثًا – قدروا من معنى الجملة اسمًا، وجعلوا ذلك الضمير يفسره ذلك الاسم المقدر، حتى يصح الإخبار بتلك الجملة عن ذلك الضمير، ولا يحتاج فيها إلى رابط؛ لأنها هي المبتدأ نفسه في المعنى. أما الكوفيون فسموه ضمير المجهول؛ لأنه لا يدري عندهم ما يعود عليه، أو لأن ذلك الشأن مجهول؛ لكونه مقدرًا إلى أن يفسر»[(١)].

ومن المواضع التي ورد فيها هذا النمط الإحالي في قصة موسى عليه السلام قوله تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [النمل: ٩]. فالضمير في ﴿إِنَّهُۥٓ﴾ لم يسبقه ما يفسره، وإنما أحال إلى مضمون الجملة التي جاءت بعده، والتقدير: يا موسى إن الشأن أنا الله العزيز الحكيم[(٢)]. قال أبو حيان: «الظاهر: أن الضمير في ﴿إِنَّهُۥٓ﴾ ضمير الشأن، و﴿أَنَا ٱللَّهُ﴾ جملة في موضع الخبر»[(٣)].

وجملة الخبر ﴿أَنَا ٱللَّهُ﴾ هي المفسرة لضمير الشأن[(٤)]، والبنية الإحالية لضمير الشأن هنا أضفت على الكلام معاني التفخيم والتعظيم، فالبون شاسع بين قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ وبين ما يرادفه إنني أنا الله، ففي الأول من التفخيم ما ليس في الثاني؛ نظرًا لكون ضمير الشأن ضميرًا مبهمًا، غير راجع إلى مذكور في اللفظ، مما يجعله أبلغ في الدلالة على التفخيم[(٥)].

(١) مرجع الضمير في القرآن الكريم، صوره وقواعده، دراسة تحليلية تطبيقية في ضوء معطيات الدرس النحوي الحديث، العشيري، صلاح عبد المعز أحمد، ص(١٤٦).
(٢) ينظر: الكشاف، الزمخشري (٣/ ٣٥٠)، وتفسير النسفي (٢/ ٥٩٢).
(٣) البحر المحيط، أبو حيان (٨/ ٢١٢).
(٤) ينظر: روح المعاني، الألوسي، (١٠/ ١٥٧).
(٥) ينظر: الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النص القرآن، نائل اسماعيل، ص(١٠٨٩).

وهكذا يشكل ضمير الشأن بنية إحالية ذات وظيفة خاصة حرص النحاة على تأكيدها[١]، فالعرب «الفصحاء ومن يحاكيهم اليوم إذا أرادوا أن يذكروا جملة اسمية، أو فعليه، تشتمل على معنى مهم، أو غرض فخم، يستحق توجيه الأسماع والنفوس إليه، لم يذكروها مباشرة خالية مما يدل على تلك الأهمية والمكانة، وإنما يقدمون لها بضمير يسبقها»[٢].

وقد تنبه بعض النحويين لهذه القيمة الدلالية للبنية الإحالية لضمير الشأن، يتضح ذلك - مثلًا - من قول الرضى: «القصد بهذا الإبهام، ثم التفسير تعظيم الأمر، وتفخيم الشأن، فعلى هذا لابد أن يكون مضمون الجملة المفسرة شيئًا عظيمًا، فلا يقال - مثلًا -: هو الذباب يطير»[٣].

ويؤكد ابن يعيش هذه القيمة الدلالية والمعنوية للبنية الإحالية لضمير الشأن، فيقول: «وعادة العرب أن تصدر قبل الجملة بضمير مرفوع، ويقع بعده جملة تفسره، وتكون في موضع الخبر عن ذلك المضمر، نحو قولك: هو زيد قائم، أي: الأمر زيد قائم، وإنما يفعلون ذلك عند تفخيم الأمر وتعظيمه، وأكثر ما يقع ذلك في الخطب والمواعظ»[٤].

والبنية الإحالية لضمير الشأن تعمل على تمكين الخطاب في نفس السامع، وهذا ما أوضحه السكاكي حين ذكر أن العرب تقول: هو زيد عالم. مكان: الشأن زيد عالم. وهي هند مليحة. مكان: القصة هند مليحة؛ «ليتمكن في ذهن السامع ما يعقبه؛ وذلك أن السامع متى لم يفهم من الضمير معنى، بقي منتظرًا لعقبى الكلام، كيف تكون؟ فيتمكن المسموع بعده فضل تمكن في ذهنه، وهو السر في التزام

(١) ينظر: دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد حسن بحيري، ص(١٢٥).
(٢) الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النص القرآني، نائل اسماعيل، ص(١٠٨٨).
(٣) شرح الرضى على الكافية، الرضي (٢/ ٤٦٥).
(٤) شرح المفصل، ابن يعيش (٤/ ٣٤٩).

تقديمه»[١].

فالبنية الإحالية لضمير الشأن إذن تشير إلى قصد المتكلم توجيه نظر السامع إلى أنه قد عدل عن استعمال السياق المعتاد إلى استخدام سياق مغاير، يلائم طبيعة الخبر المنقول[٢] بما فيه من عظم وفخامة، وربما تملي السياقات القرآنية على هذه البنية الإحالية لضمير الشأن دلالة لازمة غالبة بإشارته إلى ذات الله العلية، أو أفعاله الخاصة، والعنصر الإشاري المتمثل في الذات الإلهية في هذه السياقات قد يذكر صراحة في الجملة المفسرة لضمير الشأن كما تقدم في قوله تعالى: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾، وقد يكون العنصر الإشاري خارج النص القرآني حين لا تذكر الذات الإلهية في الجملة المفسرة لضمير الشأن[٣].

والنص القرآني يتيح للمتلقي إمكانات تفسيرية متعددة تجعل البنية الإحالية لضمير الشأن تتداخل مع أبنية إحالية أخرى سعى المفسرون إلى الكشف عنها متجاوزين في ذلك ما وضعه النحويون من قيود ضيقة، مؤكدين أنه بالرغم من كون ضمير الشأن عنصرًا إحاليًّا يميل إلى عنصر إشاري هو في الغالب الجملة التي تعقبه، والتي تقوم بمهمة تفسيره – فإن البنية ككل لا تنفصل عن السياق، أو المحيط الذي وردت فيه؛ «إذ توفر النصوص صلة ما تجعل من هذه البنية وحدة ضرورية في موقعها، وليست محشورة، أو غريبة، تخرق قانون التماسك، أو الانسجام النصي»[٤]، وإنما تحافظ على هذا القانون إلى أبعد مدى؛ ليسير النص في بنية ممتدة ملتحمة في مبناها، متماسكة في معناها.

(١) مفتاح العلوم، السكاكي، ص(١٩٨).
(٢) ينظر: دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد بحيري، ص(١٢٧).
(٣) المرجع السابق، ص(١٢٨).
(٤) المرجع السابق، ص(١٣٤).

ثانيًا: الإحالة الإشارية

الإحالة الإشارية نسبة إلى الإشارة، والإشارة في اللغة تعني: الإيماء، يقال: أشار إليه باليد، أي: أومأ[(١)]. قال ابن سيده: «أشار إليه، وشور: أومأ، يكون ذلك بالكف والعين والحاجب، أنشد ثعلب:

نُسِرُّ الْهوى إلاّ إشارَةَ حاجِبٍ هُناكَ، وإلاّ أَنْ تُشِيرَ الأَصَابِعُ»[(٢)]

ولم يخرج المعنى الاصطلاحي للإشارة عند النحاة عن هذا المعنى اللغوي، كما يظهر من قول ابن يعيش: «ومعنى الإشارة: الإيماء إلى حاضر بجارحة، أو ما يقوم مقام الجارحة؛ فيتعرف بذلك»[(٣)].

ولأسماء الإشارة دورها البارز بين العناصر الإحالية؛ نظرًا لما تقوم به من تعيين المشار إليه وتحديده؛ بل هي تمتاز عن غيرها من المعارف بأنها تعين مدلولها بالقلب والبصر جميعًا؛ وفي ذلك يقول ابن يعيش: «فتعريف الإشارة أن تخصص للمخاطب شخصًا يعرفه بحاسة البصر، وسائر المعارف هو أن تختص شخصًا يعرفه المخاطب بقلبه؛ فلذلك قال النحويون: إن أسماء الإشارة تتعرف بشيئين: بالعين وبالقلب»[(٤)].

وأسماء الإشارة تدل دلالة وظيفية على مطلق حاضر، ولا تدل على مسمى كما تدل الأسماء؛ فإذا أريد لها أن تدل عليه فتنقلب دلالتها من الدلالة الوظيفية إلى الدلالة المعجمية – كان ذلك بواسطة المرجع[(٥)]، فدلالتها على مسماها – شأن دلالة

(١) ينظر: الصحاح، الجوهري (٢/ ٧٠٤).
(٢) البيت بلا نسبة في لسان العرب، ابن منظور (٤/ ٤٣٦)، مادة (شور)، والمحكم والمحيط الأعظم، ابن سيدة (٨/ ١١٨، ١١٩).
(٣) شرح المفصل، ابن يعيش (٢/ ٣٥٢).
(٤) شرح المفصل، ابن يعيش (٢/ ٣٥٢).
(٥) ينظر: أسماء الإشارة في السياق القرآني، دراسة نحوية دلالية، آمال سليمان أحمد الدروجي، ص(١١).

الضمير على مسماه – لا تتأتى إلا بمعونة الاسم[١]؛ أي: أن مدلولها لا يتحدد إلا بأمر خارج عن ألفاظها[٢]؛ ولذلك سميت بالمبهمات، وفي هذا يقول ابن يعيش: «ويقال لهذه الأسماء: مبهمات؛ لأنك تشير بها إلى كل ما بحضرتك، وقد يكون بحضرتك أشياء، فتلبس على المخاطب، فلم يدر إلى أيها تشير؛ فكانت مبهمة لذلك؛ ولذلك لزمها البيان بالصفة عند الإلباس»[٣].

ومعنى هذا: أن الإبهام في أسماء الإشارة، ليس معناه: الغموض والإغراب، وإنما يعني: شيوع الدلالة وإجمالها، وإمكان إطلاقها على مسميات عديدة، مع حاجتها المستمرة إلى ما يفسرها، سواء أكان هذا المفسر محسوسًا، أم مذكورًا، فمتى وجد هذا المفسر ابتعد اسم الإشارة عن عروض الإلباس[٤]؛ وزال عنه الإبهام.

ومن هنا تبرز أهمية الإحالة الإشارية في النص؛ لأنها تجعل القارئ دائب البحث عن المحال إليه الذي يفسر اسم الإشارة (العنصر المحيل)، ويزيل عنه إبهامه، وبالتالي تعمل أسماء الإشارة على إقامة جسور من الاتصال بين الأجزاء المتباعدة في فضاء النص؛ إذ يمكن استخدامها استخدامًا مكثفًا «مشيرًا إلى عدد كبير من الأحداث السابقة؛ رغبة في الاختصار، أو اجتنابًا للتكرار»[٥].

وقد تجلى ذلك في مواضع متعددة من قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: ٥٣ – ٥٤]. فقد جاء ذلك على لسان موسى عليه السلام في حجاجه مع

(١) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص(١١٣).
(٢) ينظر: أسماء الإشارة في السياق القرآني، آمال الدروجي، ص(١٣).
(٣) شرح المفصل، ابن يعيش (٢/ ٣٥٢).
(٤) ينظر: أسماء الإشارة في السياق القرآني، آمال الدروجي، ص(١٣).
(٥) دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد بحيري، ص(١٤٣).

فرعون – عليه اللعنة– كما ورد في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾ [طه:٤٩-٥٤]. وقد أحال اسم الإشارة (ذلك) في الآية السابقة إلى خطاب كامل بجمل متتالية، حيث اتسع ليشمل مجالات وعناصر متعددة من الأرض والسبل والسماء والنبات والأكل ورعي الأغنام، وقد بيّن الله تعالى بدلالة اسم الإشارة فيما وصف في هذه الآية دلائل قدرته وعلامات وحدانيته، وأنه لا إله غيره(١)، وساعد اسم الإشارة بوصفه عنصرًا إحاليًّا على الاقتصاد في الكلام وعدم التكرار حين أحال إلى ألفاظ وعناصر إشارية متعددة ومجموعة أحداث ينبني عليها المعنى المراد الذي يحيل عليه العنصر الإحالي الجامع لكل ما ذكر قبله.

وكذلك في قوله – تعالى-: ﴿ وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴾ [الأعراف: ١١٣]. ففي قوله: ﴿ذَٰلِكُم﴾ إشارة إلى التذبيح والاستحياء أو الإنجاء، وجمع الضمير للمخاطبين، ويجوز أن يشار به إلى الجملة(٢).

ويقوم اسم الإشارة بوظيفة الربط بين نص ونص، كما في قوله تعالى: ﴿ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١١٩]. فالمشار إليه هو ما تقدم من قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ ... صَٰغِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١١٣- ١١٩]. وقد وقعت الإحالة باسم الإشارة (هنالك) إلى المكان الذي وقع فيه سحرهم، وقيل: يجوز أن تكون الإحالة واقعة إلى الزمان الذي وقع فيه ذلك، واعترض السمين الحلبي على هذا الرأي

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٨٦).
(٢) روح المعاني، الألوسي (١/ ٣٥٤).

بقوله: «وهذا ليس أصله، وقد أثبت له بعضهم هذا المعنى، بقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الأحزاب: ١١]. ويقول الآخر:

وَإذا الْأُمُور تعاظمت وتَشَابَهَتْ فهناك يَعْتَرِفُونَ أَيْن المفزعُ[١]

ولا حجة فيها، لأن المكان فيها واضح»[٢]. وجاء في حاشية الخضري: «واعلم أن المكان والزمان لا يشار إليهما من حيث كونهما ظرفين إلا بهذه الأدوات: هنا، ثم، هنّا، فهي في محل نصب على الظرفية، أمّا من غير تلك الحيثية فلا يشار بهما بل بغيرهما، نحو: هذا مكان طيب، وذاك زمان الربيع»[٣].

والإحالة باسم الإشارة ﴿هُنَالِكَ﴾ إلى المكان الذي غلب فيه سحرة فرعون تفيد بداهة مغلوبيتهم وظهورها لكل حاضر[٤]، ومدى ما بلغه فرعون وملئه من منزلة الانحطاط والانحدار.

واستطاعت الإحالة الإشارية أن تؤدي هذا الدور المتمثل في تحقيق الترابط المعنوي والتركيبي في قصة موسى عليه السلام من خلال أنماط متنوعة أبرزها ما يلي:

١ - الإحالة الإشارية القبلية:

تعد أسماء الإشارة من أهم وسائل الاتساق النصي، وتتجلى وظيفتها الإحالية في توضيح مدى القرب أو البعد من المتكلم، فهي تقوم بالربط القبلي والبعدي من خلال تحديد موضع العنصر الإشاري[٥].

(١) ديوان الأفوه الأودي، صلاء بن عمرو (١/ ٩٨)، وتخليص الشواهد وتلخيص الفوائد، ابن هشام، ص(١٢٨)، والمقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية، العيني (١/ ٤٢١)، وبلا نسبة في همع الهوامع، السيوطي (١/ ٧٨).

(٢) الدر المصون، السمين الحلبي (٥/ ٤١٨).

(٣) حاشية الخضري على شرح ابن عقيل (١/ ١٦٦).

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٨/ ٢٣٧).

(٥) لسانيات النص، محمد خطابي، ص(١٩).

وفي هذا يقول د. تمام حسان: «الإحالة تقع خارج نطاق القرائن النحوية، وتتجه اتجاهين: أحدهما: إلى ما سبق ذكره. والثاني: إلى ما يلي. فأما ما سبق ذكره، فإن الإحالة إليه تتم بضمير الإشارة (ذا) مع اختلاف ما يصاحبه من حروف الخطاب والتنبيه. وأما ما يلي، فإن الإحالة إليه تتم بالإشارة وبغير الإشارة»(١).

وجُلّ الإحالات الإشارية في قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم جاءت من قبيل الإحالة القبلية؛ حيث يأتي (المحال إليه متقدمًا على المحيل اسم الإشارة)؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [البقرة:٦١]، فوقعت الإحالة الإشارية هنا بواسطة اسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي يحيل إلى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة على بني إسرائيل واستحقاقهم لغضب الله تعالى(٢)؛ بسبب عنادهم وعصيانهم لموسى عليه السلام.

وتتجلى الإحالة القبلية في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة: ٨٥-٨٦]. ففي هذا النص إحالتان إشاريتان قبليتان:

الأولى: باسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ [البقرة: ٨٥]. وهو يحيل إلى ما سبق بيانه من

(١) البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص(٥٣٦).
(٢) ينظر: الكشاف، الزمخشري (١/ ١٤٦).

إيمان بني إسرائيل ببعض الكتاب وكفرهم ببعضه.

والإحالة الثانية باسم الإشارة ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الذي يحيل إلى من تقدم حكم الله فيهم بأنهم ﴿يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾.

وقال ﷻ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

فأحال اسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى سابق يتمثل فيمن يتكبرون في الأرض بغير الحق، ولا يؤمنون بما يرونه من الآيات، معرضين عن طريق الرشد، سالكين طريق الغي.

ومن هذه الإحالات وما يجري مجراها يتضح دور السياق في تحديد دلالة أسماء الإشارة، وملاحظة الارتباط بينها وبين النظام النحوي، ومراعاة تفاعلها مع الوظيفة النحوية التي تشغلها في ذلك السياق، أو ذاك؛ لأن مرجع اسم الإشارة يعتمد اعتمادًا تامًّا على السياق الذي يستعمل فيه، وبدون هذا السياق يقف المتلقي عاجزًا أمام تفسير الإشارة؛ لأنها – في نفسها – خالية من أي معنى[(١)]؛ ولذا تسمى بالمبهمات – كما سبق بيانه – وهذا التفاعل بين الألفاظ المفردة والوظائف النحوية التي تشغلها في السياق الذي ترد فيه هو ما يسمى في الدرس اللغوي الحديث بالمعنى النحوي الدلالي[(٢)]، وهو معنى يستند إلى السياق، الذي يعد بمثابة القوة المحركة للتركيب، والتي تبعث فيه من الإشعاعات الدلالية ما يضيء النص[(٣)].

ويتأكد ذلك عند ما تطوي الإحالة الإشارية مساحات واسعة من أحداث القصة؛ فتحيل إليها إحالة بمثابة التلخيص لها؛ تجنبًا للإطناب وإعادة بسط القوى

(١) ينظر: أسماء الإشارة في السياق القرآني، آمال الدروجي، ص(١٧).
(٢) ينظر: النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي – الدلالي، محمد حماسة عبد اللطيف، ص(٦٥).
(٣) ينظر: دلالات التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد حسنين أبو موسى، ص(١١٢).

فيما مضى بيانه[1]، وسبق ذكره، يتضح ذلك – مثلًا – في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٣]. فالإحالة القبلية باسم الإشارة ﴿هَٰذَا﴾ هنا تحيل إلى تفصيلات كثيرة لفصل من فصول قصة موسى عليه السلام يتمثل في تحدي السحرة له، ثم غلبهم وإيمانهم به، وهو ما حكته القصة القرآنية في عدة آيات في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾ [الأعراف: ١١٥-١٢٠].

٢- الإحالة الإشارية البعدية:

أكثر الإحالات الإشارية في قصة موسى عليه السلام تندرج تحت نمط الإحالة القبلية، وقليل منها جاء على نمط الإحالة البعدية؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الشعراء: ٢٢]. فوقعت الإحالة الإشارية بـ(تلك) إحالة بعدية؛ تقدم فيها العنصر الإحالي المتمثل في اسم الإشارة (تلك) على مفسره المحال إليه المتمثل في قوله تعالى: ﴿أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾.

وفي هذا يقول الرازي: «فإن قلت: (تلك) إشارة إلى ماذا؟ وأن عبدت ما محلها من الإعراب؟ قلت: (تلك) إشارة إلى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى ما هي إلا بتفسيرها، وهي ﴿أَنْ عَبَّدتَّ﴾، فإن ﴿أَنْ عَبَّدتَّ﴾ عطف بيان ونظيره قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴾ [الحجر: ٦٦]. والمعنى تعبيدك بني إسرائيل نعمة تمنها علي»[2].

(١) ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص(٥٣٧).
(٢) تفسير الرازي (٢٤/ ٤٩٧).

وقلة الإحالة الإشارية البعدية بالقياس إلى الإحالة الإشارية القبلية في قصة موسى عليه السلام، يتفق مع شيوع نمط الإحالة القبلية في الإحالة بوجه عام، وفي هذا يقول دي بوجراند: «وتأخر الألفاظ الكنائية عن مراجعها – أي: ورودها بعد الألفاظ المشتركة معها في الإحالة أكبر احتمالًا من ورودها متقدمة عليها»[١].

ويقول الأزهر الزناد: «تمثل الإحالة بالعودة – ويعني بها: الإحالة القبلية، أو السابقة – أكثر أنواع الإحالة، دورانًا في الكلام»[٢]، بخلاف الإحالة البعدية، التي تعد سلاحًا ذا حدين؛ لأنها إما أن تحفز المتلقي وتشوقه إلى معرفة المحيل إليه، والوقوف عليه؛ فيظل متيقظًا لذلك، رابطًا بين أجزاء النص. وإما أن تقلل من قدرة القارئ على متابعة النص، والإلمام بشعابه؛ فيتشوش المعنى في خاطره، حتى يجد المحال إليه، وعندئذ يجد نفسه بحاجة إلى إعادة قراءة النص من جديد؛ للبحث عن ترابط أجزائه واتساقها، وقد يكون ذلك عسيرًا عليه – خاصة إذا كان مستمعًا لحوار قد انتهى، وهو ما يجعل أمر الإحالة البعدية أمرًا عسيرًا في كثير من الأحيان[٣]؛ ومن ثم قلَّ ورودها كثيرًا بالقياس إلى الإحالة القبلية.

٣- الإحالة الإشارية الخارجية:

تتحقق الإحالة الإشارية الخارجية عندما يكون المحال إليه باسم الإشارة عنصرًا خارجيًّا، غير موجود داخل النص، ويمكن إرجاعه إلى أمور مستنبطة من السياق، أو الموقف، لا من عبارات يمكن أن تشاركه في الدلالة في النص نفسه[٤]؛ كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طه: ٦٣]. حيث أحال اسم الإشارة ﴿هَٰذَٰنِ﴾ إلى موسى وهارون عليهما السلام، مع أن الحديث في الآيات التي سبقت

(١) الإحالة في نحو النص، أحمد عفيفي، ص(٥٤٤).
(٢) نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصًّا، الأزهر الزناد، ص (٧).
(٣) ينظر: الإحالة في نحو النص، أحمد عفيفي، ص(٥٤٥).
(٤) ينظر: الإحالة في نحو النص، أحمد عفيفي، ص(٥٤٧).

هذه الآية قد اقتصر على موسى عليه السلام وحده؛ حيث قال تعالى قبل هذه الآية: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾﴾ [طه:٥٧-٦٢].

وغياب هارون عليه السلام عن السياق أولًا، ثم حضوره بواسطة الإحالة باسم الإشارة ﴿هَٰذَانِ﴾ ثانيًا في قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ﴾ – يشير إلى كون الإحالة إحالة خارجية إلى شخص موسى وهارون عليهما السلام حال كونهما حاضرين في الموقف الذي تحدثت عنه الآيات.

وفي تلقي هذه الإحالة الخارجية وما يجري مجراها لابد من الأخذ في الحسبان أن النص القرآني – بوجه عام – بعد زمن التنزيل، لم يعد بإمكان المتلقي إدراك الحضور في النص إلا بالبحث عن قرائن أخرى تدل المتلقي على المحال إليه، «ومن ثم كان لابد من تحول قرينة العهد من الحضور الآني في مقام الخطاب إلى الذكر في الكلام، أو العلم بوسيلة خارجية، بمعنى: أن تنصب قرينة في السياق المقالي، تدل على من كان حاضرًا في مقام الخطاب، أو يعول في ذلك على الروايات المصاحبة، المبينة لمقام الخطاب، والتي تنشئ عهدًا ذهنيًّا لدى سامعيها يعتمد عليها في إتمام عمليات الإحالة من محيلات حضورية إلى ما تحيل إليه»[(١)]، ويسمى ذلك بتحول العهد الحضوري إلى عهد ذكري أو ذهني؛ ولهذه الأنواع من العهد أهميتها في تفسير معادل المشار إليه، وبالتالي تؤدي دورًا مهمًا في تحقيق الانسجام في النص، ومنحه

(١) الإحالة في القرآن الكريم، أحمد عفيفي، ص(١٦٣).

خصيصة الاستمرارية بربط المتلقي بالمقام الخارجي المرتبط بالنص[١].

وهذا التحول من الحضور في مقام الخطاب إلى الذكر في الكلام بالنسبة للقرينة التي تعين المحال إليه في الإحالة الإشارية – أدى إلى اختلاف الآراء في الإحالات الإشارية الخارجية؛ حيث يراها بعض الباحثين خارجية بالنظر إلى الحضور في مقام الخطاب، ويراها آخرون إحالة داخلية؛ نظرًا لما طرأ على الحضور في مقام الخطاب من التحول إلى عهد ذكري، أو ذهني، وتوسط فريق ثالث بين الفريقين، فقالوا: إنها إحالة داخلية متحولة عن إحالة خارجية؛ نظرًا لتوفر ما يفسر الإشارة في السياق المكتوب من ناحية، ومراعاة الأصل في الاستعمال من ناحية أخرى[٢].

بيد أن اعتبار الإحالات الإشارية من قبيل الإحالة الخارجية، ينبغي أن يستند إلى بعض المحددات التي تؤكد ارتباط الإحالة بالمقام الخارجي، وتتمثل هذه المحددات في مجيء الإحالة الإشارية في سياق الخطاب المحكي إشارة إلى معهود بين المتخاطبين، ويكون المخاطب بها في أصل الاستعمال غير متلقي النص القرآني، ويكون المتكلم بالإشارة غير المتكلم بما سبقها، وتجيء الإشارة في بداية كلام قائلها، ولا يكون المشار إليه جزءًا من كلام هذا القائل[٣]، ومما توافرت فيه هذه المحددات للإحالة الإشارية الخارجية في قصة موسى عليه السلام قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ [القصص: ٣١ – ٣٢]. حيث جاءت الإحالة الإشارية باسم الإشارة (ذانك) إحالة

(١) ينظر: أسماء الإشارة في السياق القرآني، آمال الدروجي، ص(١٤٧).
(٢) ينظر: المرجع السابق، ص(١٦٣).
(٣) ينظر: المرجع السابق، ص(١٦٢، ١٦٣).

خارجية إلى حاضرين في مقام الخطاب هما البرهانان، المتمثلان في العصا، واليد البيضاء[١] وهما حاضران حقيقة في ذلك المقام[٢].

٤- الإحالة الإشارية الداخلية:

أكثر الإحالات الإشارية في قصة موسى عليه السلام هي إحالات داخلية، يكون فيها المحال إليه بأسماء الإشارة موجودًا داخل النص؛ ومن ثم تقوم الإحالة بدور فعال في تماسك النص واتساقه بشكل مباشر، وتحقق في النص أمرين مهمين هما الترابط التركيبي والترابط الدلالي[٣]؛ ومن ثم تسهم في إيجاد تفاعل خلاق بين المتلقي والنص القرآني[٤]؛ يحقق المتعة والاستفادة من قراءة النص؛ وبدون هذا التفاعل يكون الانتفاع بقراءة النص شيئًا غير موجود، أو غير مؤكد[٥] على أقل تقدير.

ومن الإحالات الإشارية الداخلية في قصة موسى عليه السلام قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١]. حيث جاءت الإحالة باسم الإشارة (أولئك) إلى مذكورين في النص، وهم ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾.

وهذا النمط الإحالي نمط شائع في قصة موسى عليه السلام، والتعرف فيه على المحال إليه الذي يفسر اسم الإشارة يكون سهلًا يسيرًا في أكثر الأحيان، وفي بعض الأحيان يكون بحاجة إلى روية وإعمال فكر، يتفاوت في عمقه بتفاوت العلاقات بين الملفوظ، والمعنى الذي يدل عليه المحال إليه[٦]، ومن نماذج ذلك قوله تعالى:

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٠/ ١١٥).
(٢) ينظر: أسماء الإشارة في السياق القرآني، آمال الدروجي، ص(١٦٩، ١٧٠).
(٣) دراسة في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد بحيري، ص(٢٣٥).
(٤) ينظر: أسماء الإشارة في السياق القرآني، آمال الدروجي، ص(١٤٦).
(٥) ينظر: الإحالة في نحو النص، أحمد عفيفي، ص(٥٤٣).
(٦) ينظر: أسماء الإشارة في السياق القرآني، آمال الدروجي، ص(١٥٦)، ومرجع الضمير في القرآن الكريم، صبرة، ص(٢٢٨).

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣) ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٢-٧٤]. فقد وقعت الإحالة باسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾ . هاهنا مرتين:

الأولى: في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ﴾.

والثانية: في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾.

والمحال إليه في الإحالة الأولى – وإن كان ملحوظًا من الكلام – فهو يحتاج إلى شيء من النظر والتأمل؛ لأنه يشير إلى الإحياء المفهوم من سياق الكلام فالإحالة في حقيقتها إحالة إلى محذوف للإيجاز، وفي هذا يقول الطاهر بن عاشور: «وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ﴾.الإشارة إلى محذوف للإيجاز أي فضربوه فحيي فأخبر بمن قتله أي كذلك الإحياء يحي الله الموتى فالتشبيه في التحقق وإن كانت كيفية المشبه أقوى وأعظم لأنها حياة عن عدم بخلاف هاته فالمقصد من التشبيه بيان إمكان المشبه كقول المتنبي:

فإنْ تَفُق الأنامَ وأنْتَ مِنْهُمْ فإنَّ المِسْكَ بَعْضُ دَمِ الغَزَالِ[١]

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ﴾ من بقية المقول لبني إسرائيل فيتعين أن يُقدَّر: وقلنا لهم كذلك يحي الله الموتى؛ لأن الإشارة لشيء مشاهد لهم وليس هو اعتراضًا أريد به مخاطبة الأمة الإسلامية لأنهم لم يشاهدوا ذلك الإحياء حتى يشبه به إحياء الموتى»[٢].

وأما الإحالة الثانية في قوله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ فالمحال إليه بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ فيها يحتمل أن يكون هو إحياء القتيل؛ كما يحتمل أن يكون جميع ما سبق

(١) شرح ديوان المتنبي، العكبري (١/ ٣٨٠).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور (١/ ٥٦١).

هذه الآية الكريمة من الدلائل والبراهين التي ساقها الله تعالى إلى بني إسرائيل[١].

وهكذا أغنت الإحالة الإشارية باسم الإشارة ذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ عن إعادة كل هذه الآيات، ومن ثم تبرز الإحالة الإشارية هنا خاصية مهمة من خصائص استخدام اسم الإشارة تتمثل في كونه «عنصرًا جامعًا وناقلًا في الوقت نفسه؛ إذ يتكثف فيه مضمون الكلام السابق، ثم يبنى عليه الكلام اللاحق»[٢]، فيؤدي بذلك دور حلقة الوصل التي تصل أجزاء الكلام بعضها ببعض وتؤدي إلى تماسكه والتحامه.

(١) ينظر: الكشاف، الزمخشري (١/ ١٥٥).

(٢) ظواهر تركيبية في مقايسات أبي حيان التوحيدي، سعيد بحيري ص(٢٤٤).

ثالثًا: الإحالة بالموصول

الموصول: اسم مفعول من وصل الشيء بغيره؛ إذا جعله من تمامه[١]، يقال: وصل الشيء بالشيء وصلًا وصلة – بالكسر والضم – ووصّله: لَأَمَهُ، ووصل الشيء، وإليه وصولًا؛ إذا بلغه وانتهى إليه[٢].

ويؤخذ من هذا أن مادة (وصل) «تفيد الالتحام والاتصال اللازم بين شيئين. وينبني عليه أن الموصول يقصد منه ما التحم به غيره متصلًا به اتصالًا وثيقًا، لا ينفصل، سواء أكان ذلك في الماديات، أم في المعنويات، أم في الكلام»[٣].

وأما في اصطلاح النحاة، فقد عرف الزمخشري الموصول بأنه «ما لابد له في تمامه اسمًا من جملة تردفه من الجمل التي تقع صفات، ومن ضمير فيها يرجع إليه، وتسمى هذه الجملة صلة»[٤]، ويسميها سيبويه الحشو[٥].

وقال ابن مالك: «الموصول من الأسماء ما لزمه عائد وجملة، أو شبهها»[٦].

وقال في شرح التسهيل: «الموصول من الأسماء ما افتقر إلى عائد – أو خلفه – وجملة صريحة أو مؤولة غير طلبية ولا إنشائية»[٧].

وأشار بقوله: «أو خلفه» إلى أن العائد قد يغني عنه قرينة تدل عليه، أو اسم ظاهر يقوم مقامه[٨].

فالموصول إذن اسم مبهم يحتاج دائمًا في تعيين مدلوله، وإيضاح المراد منه إلى

(١) ينظر: شرح التصريح على التوضيح، الأزهري (١/ ١٤٨).
(٢) ينظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص(١٠٦٨).
(٣) النحو المصفي، محمد عيد، ص(١٦٥).
(٤) المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري، ص(١٨٣).
(٥) الكتاب، سيبويه (٢/ ١٠٥).
(٦) شرح الكافية الشافية، ابن مالك (١/ ٢٥٢).
(٧) شرح التسهيل، ابن مالك (١/ ١٨٦).
(٨) ينظر: المرجع السابق، وشرح الأشموني، الأشموني (١/ ١٢٦).

جملة أو شبهها، تزيل عنه إبهامه، وتعين مدلوله، وتفصل مجمله، وتجعله واضح المعنى، كامل الإفادة(١)، وفي هذا يقول ابن جني: «اعلم أن هذه الأسماء – يعني: الموصولة – لا تتم معانيها إلا بصلات توضحها وتخصصها، ولا تكون صلاتها إلا الجمل، أو الظروف، ولابد في الصلة من ضمير يعود إلى الموصول... ولا تكون الصلة إلا جملة خبرية، تحتمل الصدق والكذب»(٢).

وهكذا يفتقر الموصول دائمًا إلى جملة الصلة التي تأتي بعده(٣)؛ ومن ثم كانت الموصولات من العناصر الإحالية؛ لكونها مبهمة تحتاج إلى ما يفسرها؛ وتفتقر في تعيين دلالتها إلى جملة الصلة، التي لا يتم الموصول إلا بها على حد قول سيبويه: «(الذي) لا يتم إلا بحشوه»(٤).

ويقول المبرد: «اعلم أن الصلة موضحة للاسم؛ فلذلك كانت في هذه الأسماء المبهمة، وما شاكلها في المعنى؛ ألا ترى أنَّك لو قلت: جاءني الذي، أو مَرَرْت بالذي لم يدلك ذلك على شيء حتَّى تقول: مَرَرْت بالذي قام، أو مَرَرْت بالذي من حاله [كذا وكذا]، أو بالذي أبوه منطلق فإذا قلت: هذا وما أشبهه وضعت اليد عليه»(٥).

ومن هنا يعد النصّيّون الاسم الموصول من وسائل التماسك النصّي؛ لأن يستلزم وجود جملة بعده، وهو في الوقت نفسه أداة من أدوات الإحالة؛ نظرًا لارتباطه بمذكور سابق(٦)؛ وفي هذا يقول الأزهر الزناد: «تطلق تسمية العناصر

(١) ينظر: النحو الوافي، عباس حسن (١/ ٣٤١، ٣٧٣).
(٢) اللمع في العربية، ابن جني، ص(١٨٩).
(٣) ينظر: ضياء السالك إلى أوضح المسالك، النجار (١/ ١٦٦).
(٤) الكتاب، سيبويه (٢/ ١٠٥).
(٥) المقتضب، المبرد (٣/ ١٩٧).
(٦) ينظر: الإحالة النصية وأثرها في تحقيق تماسك النص القرآني، دراسة تطبيقية على بعض الشواهد القرآنية، عبد الحميد بوترعة، ص(٩٢).

الإحالية على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر، أو عناصر أخرى، مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب؛ فشرط وجودها هو النص، وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر... فهي إذن مزدوجة الدور في اللغة:

- تشير وتعين المشار إليه في المقام الإرشادي.

- تعوض المشار إليه، فتحيل عليه، وترتبط به، وفهمها رهين استحضار ذلك المشار إليه استحضار عهد، أو إدراك حسي، أو غيره.

وبعض العناصر الإحالية يكتفي بوظيفة التعويض مثل الأسماء الموصولة، وهذه يزدوج دورها كذلك، ولكن من زاوية أخرى؛ إذ تعوض، وترتبط ربطًا تركيبيًّا، وهي بحكم إبهامها تحتاج إلى صلة تفسرها»[(١)].

وما سميت الأسماء الموصولة بذلك الاسم إلا لأنها توصل الكلام بعدها هو من تمام معناها، جاء في شرح ابن يعيش: «معنى الموصول أن لا يتِم بنفسه، ويفتقِر إلى كلام بعده، تصلُه به ليَتِم اسمًا، فإذا تَم بما بعده، كان حكمُه حكمَ سائر الأسماء التامّة، يجوز أن يقع فاعلًا، ومفعولاً، ومضافًا إليه، ومبتدأ، وخبرًا»[(٢)].

وقد كان للإحالة بالموصول حضورها، ودورها في تماسك النص القرآني في قصة موسى عليه السلام؛ كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ فقد وقعت الإحالة بالموصول (الذي)، ليتمكن موسى عليه السلام من إخبار فرعون - لعنه الله - ببعض من صفات الله تعالى، فهو سبحانه أعطى كل شيء من مخلوقاته خلقته وصورته، أي أكمل ذلك له وأتقنه، ثم بعد هذا الإتقان يسر كل شيء لمنافعه ومرافقه[(٣)].

(١) نسيج النص، الأزهر الزناد ص (١١٨) بتصرف يسير.
(٢) شرح المفصل، ابن يعيش (٢/ ٣٧١).
(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (٤/ ٤٧).

وقد أحس فرعون بما في هذا الجواب من الإفحام له، فخاف أن يزيد موسى في إظهار الحجة، فيظهر للناس صدقه، فأسرع إلى طرح سؤال آخر على موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [طه: ٥١]، فبادره موسى بالجواب مفحمًا إياه بالطريقة السابقة نفسها موظفًا الإحالة بالموصول (الذي) في قوله تعالى: ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾ [طه: ٥٢-٥٣].

كما فوَّتت الإحالة بالموصول في هذه الآية وما قبلها على فرعون غرضه الخبيث الذي يريد أن يقصر ربوبية الله على موسى وهارون فحسب بقوله: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴾، فجاء جواب موسى عليه السلام نافيًا لهذا القصر مؤكدًا أن ربوبية الله تعالى تشمل جميع المخلوقات؛ تحقيقًا للحق، وردًا لكيد فرعون وخبثه، وقد أفصح عن ذلك أتم إفصاح ما جاء في حيز جملة الصلة[(١)] في قوله: ﴿ ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾، ثم قوله: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا ﴾، ثم جاء الالتفات في هذه الآية الأخيرة من صيغة الغيبة في ﴿ٱلَّذِي﴾، و ﴿جَعَلَ﴾، و (سلك)، و (أنزل) – إلى صيغة التكلم في ﴿فَأَخْرَجْنَا ﴾؛ حكاية لكلام الله تعالى، وتنبيهًا على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال قدرته وحكمته، وإيذانًا بأنه مطاع تنقاد الأشياء المختلفة لمشيئته[(٢)].

وقد تعددت في قصة موسى عليه السلام الإحالة بالموصول الفردي (الذي) إلى الله تعالى في مقام إثبات ألوهيته ووحدانيته ونعمه على خلقه؛ كما تقدم فيما سبق من آيات، وكما ورد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [طه: ٩٨]، فقد أحال الاسم الموصول ﴿ ٱلَّذِي﴾ هنا إلى الله تعالى؛

(١) ينظر: تفسير أبي السعود المسمى بإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (٦/ ٢٠).
(٢) ينظر: السراج المنير (٢/ ٤٦٨).

وجاءت صلته مشتملة على الضمير ﴿ هُوَ ﴾ الذي يحيل بدوره إلى الذات الإلهية أيضًا، وبذلك يكون للموصول إحالتان: قبلية وبعدية في آن واحد[١]، مما يزيد المعنى قوة، ويؤكد تماسك النص واتساقه.

كما أن في الإحالة هنا إحقاقاً للحق إثر إبطال الباطل[٢] بالإحالة بالموصول الفردي (الذي) أيضًا في الآية السابقة على هذه الآية في قوله تعالى: ﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴾ [طـــه: ٩٧]. حيث أحال الموصول هنا إلى إله السامري، المتمثل في العجل الذي صنعه لقومه فعبدوه، وجاءت الصلة هنا ﴿ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ ﴾لتؤكد تحقير هذا المعبود وهوانه، وتحقير من عبدوه وضلالهم؛ فهم قد عكفوا على عبادة مخلوق للإله الحق الذي لا إله غيره، والذي وسع كل شيء علمًا كائنًا ما كان، فيدخل فيه العجل دخولًا أوليًّا، وفي وضع هاتين الإحالتين: إحداهما في مقابل الأخرى على هذا النسق القرآني تلوين للخطاب بإبراز الحق بعد دحض الباطل؛ فتتأكد بذلك الألوهية لله وحده من غير أن يشاركه شيء من الأشياء بوجه من الوجوه[٣].

ووقعت الإحالة بالموصول الفردي (الذي) إلى موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الشعراء: ٩] وقد أوضحت هذه الإحالة مدى معاندة فرعون، وادعائه للأباطيل، فهو يزعم أن موسى عليه السلام رئيسًا لأولئك السحرة، وأنه هو الذي علمهم السحر[٤]، مع أن فرعون كان يعلم أن موسى ما

(١) ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان ص(٣١، ٣٢).
(٢) ينظر: تفسير أبي السعود، أبو السعود (٦/ ٤٠).
(٣) ينظر: تفسير أبي السعود (٦/ ٤٠).
(٤) ينظر: تفسير الطبري (١٩/ ٣٤٨).

خالط السحرة ألبتة، «وما لقيهم، وكان يعلم من سحرته أستاذ كل واحد من هو؟ وكيف حصل ذلك العلم»(١)، وإنما أراد فرعون بذلك أن يشبِّه على الناس، ويلبِّس الأمر عليهم، حتى لا يتبعوا السحرة فيؤمنوا كإيمانهم(٢).

كما وقعت الإحالة بالموصول (الذي) إلى موسى عليه السلام أيضًا في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧]. فـ(الذي) هنا يحيل إحالة قبلية إلى ﴿رَسُولَكُمُ﴾ الذي يقصد به موسى عليه السلام وهذا القصد معلوم لدى السامعين في اعتقاد فرعون، وجاءت جملة الصلة جملة فعلية، قد بنى فعلها للمجهول ﴿أُرۡسِلَ﴾ ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو يحيل أيضًا إلى موسى عليه السلام؛ ومؤكدًا دور الإحالة بالموصول في تحقيق التماسك النصي بالإضافة إلى إثراء الدلالة بإبراز تهكم فرعون من موسى عليه السلام فمضمون «الموصول وصلته هو مضمون ﴿رَسُولَكُمُ﴾ فكان ذكره كالتأكيد، وتنصيصًا على المقصود؛ لزيادة تهييج السامعين، كيلا يتأثروا، أو يتأثر بعضهم بصدق موسى عليه السلام»(٣).

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ [غافر: ٣٠]. فأحال الموصول ﴿ٱلَّذِىٓ﴾ إحالة قبلية إلى مؤمن آل فرعون، الذي أخبر عنه رب العزة جل وعلا في قوله: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤۡمِنٌ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨]، وكان ذلك القول من المؤمن في مقابل قول فرعون ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِىٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ

(١) السراج المنير، الشربيني (٢/ ٤٧٤).
(٢) ينظر: تفسير القرطبي، القرطبي (١١/ ٢٢٤).
(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٩/ ١٢٠).

فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾ [غافر: ٢٦].

وهذا الرجل المؤمن المحال إليه بالموصول (الذي) هنا هو نفسه الرجل المراد بقوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ [القصص: ٢٠]؛ كما ذكره المفسرون(١)، وفي هذا تأكيد لدور الإحالة في تماسك النص القرآني، حيث تجعل القرآن الكريم كله بمثابة سورة واحدة، وفي حكم الكلام الواحد، ولهذا قال أهل العلم: «إن القرآن يفسر بعضه بعضًا، وإن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ موافقته لما سبقه من القول، واتفاقه مع جملة المعنى، وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته»(٢).

وقد يعني الاسم الموصول عن ذكر ما هو معلوم لدى المخاطب كما في قوله تعالى: ﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ ﴾، [الشعراء: ١٩] حيث عبرت (التي) عما يعلمه موسى عليه السلام من قتله للقبطي، وفي ذلك تهويل للفعلة.

وقد قصد فرعون بهذا الكلام توبيخ موسى عليه السلام (٣)، وتخويفه من جنايته، وحسب أنه بذلك يستطيع قلع الدعوة من جذورها، ويجعل موسى يكف عنها بعدما يفحمه بمواجهته بالجناية مُهوِّلًا في شأنها؛ بالتعبير عنها بالموصول الذي يدل على علم موسى بها؛ فيخشى موسى على نفسه القتل ويتلعثم ويخفق في مهمته(٤)، لكن ذلك لم يحدث، بل رد عليه موسى عليه السلام قائلًا: ﴿ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الشعراء: ٢٠]. قال الطاهر بن عاشور: «ومعنى الجزاء في قوله: ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا﴾ أن قول فرعون: ﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ ﴾ [الشعراء: ١٩]. قصد به إفحام

(١) ينظر: تفسير القرطبي، القرطبي (١٥/ ٣٠٦).

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، محمد عبد العظيم (٢/ ٥٢).

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي (٢/ ٨٩).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٩/ ١١٠) وما بعدها.

موسى وتهديده، فجعل موسى الاعتراف بالفعلة جزاء لذلك التهديد على طريقة القول بالموجب، أي لا أتهيب ما أردت»[(١)].

والأكثر في الإحالة بالموصول أن تكون الصلة معلومة للسامع، ولكن في بعض الأحيان تكون الصلة مبهمة لغرض بلاغي؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ﴾ [طه: ٧٨]. فوقعت الإحالة بالموصول ﴿مَا﴾ هنا إحالة بعدية إلى مبهم؛ بقصد تعظيم الأمر وتهويله وتفخيمه، قال أبو حيان: «قال: ﴿مَا غَشِيَهُمۡ﴾ من باب الاختصار، ومن جوامع الكلم، التي تستقل – مع قلّتها – بالمعاني الكثيرة، أي: غشيهم ما لا يعلم كنهه إلا الله»[(٢)].

وإنما أفاد الإبهام التعظيم من جهة أن «العظيم لعظمته قد لا يحيط به نطاق العلم»[(٣)].

وهكذا كان للإحالة بالموصول في قصة موسى عليه السلام دورها البارز في إثراء دلالة النص وبلاغته علاوة على دورها في اتساقه وتماسكه.

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٩/ ١٤).
(٢) البحر المحيط، ابن حيان (٧/ ٣٦٣).
(٣) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، الخفاجي، شهاب الدين أحمد (٦/ ٢١٣).

رابعًا: الإحالة بالتعريف

التعريف في اللغة: مصدر بزنة التفعيل من الفعل الرباعي المزيد بالتضعيف (عرف)، وهو يطلق على معان متعددة يهمنا منها هنا التعريف بمعنى الإعلام وما يضاد التنكير[١]، يقول الفيروزآبادي: «التعريف: الإعلام وضد التنكير»[٢].

وجاء في المعجم الوسيط: «التعريف تحديد الشيء بذكر خواصه المميزة»[٣].

والتعريف في اصطلاح النحاة ضد التنكير أيضًا؛ فهم قد قسموا الاسم إلى معرفة ونكرة، والمعرفة عندهم: «ما دل على شيء بعينه»[٤] والاسم النكرة «وهو الواقع على كل شيء من أمته، لا يخص واحدًا من الجنس، دون سائره، نحو: رجل، وفرس، وحائط، وأرض»[٥].

وقال ابن السراج: «كل اسم عم اثنين فما زاد فهو نكرة»[٦].

وقال ابن جني: «النكرة: ما لم تخص الواحد من جنسه، نحو: رجل وغلام»[٧].

وقال ابن مالك: «ما كان شائعًا في جنسه كحيوان، أو في نوعه كإنسان، فهو نكرة، وما ليس شائعًا فهو معرفة»[٨].

ومن هذا يظهر أن التعريف يراد به التحول بالاسم من حال الشيوع إلى حال التحديد والتعيين، الذي يجعله معروفًا للمخاطب.

ويمكن التحول بالاسم من حال التنكير إلى حال التعريف بإدخال أداة

(١) ينظر: الصحاح، الجوهري (٤/ ١٤٠٢).
(٢) القاموس المحيط، الفيروزبادي ص(٨٣٧).
(٣) المعجم الوسيط، إخراج: مجمع اللغة العربية (٢/ ٥٩٥).
(٤) المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري ص(٢٤٥).
(٥) المقتضب، المبرد (٤/ ٢٧٦).
(٦) الأصول في النحو، ابن السراج (١/ ١٤٨).
(٧) اللمع في العربية، ابن جني ص(٩٨).
(٨) شرح الكافية الشافية، ابن مالك (١/ ٢٢٢).

التعريف (أل) على النكرة، أو إضافتها إلى معرفة، وقد بين سيبويه هذا التحول بإدخال (أل)، فقال عن المعرف بـ(أل): «إنما صار معرفة لأنك أردت بالألف واللام الشيء بعينه دون سائر أمته، لأنك إذا قلت: مررت برجل، فإنك إنما زعمت أنك مررت بواحد ممن يقع عليه هذا الاسم، لا تريد رجلًا بعينه يعرفه المخاطب، وإذا أدخلت الألف واللام، فإنما تذكره رجلًا قد عرفته، فتقول: الرجل الذي من أمره كذا وكذا، ليتوهم الذي كان عهده بما تذكره من أمره» (١).

وأما التعريف بالإضافة فمبناه على أن المضاف يأخذ حكم المضاف إليه(٢)؛ فإذا ما أضيف إلى معرفة، فهو معرفة مثله.

والإحالة بالتعريف تحقق التماسك النصي من خلال تكرار لفظة سابقة في صورة معرفة بشكل أكثر تحديدًا من ورودها الأول نكره، وهو يساهم بدور كبير في ربط أجزاء النص.

وفي هذا تقول رقية حسن، وهي بصدد الحديث عن أداة التعريف the في الإنجليزية: «فالتماسك النحوي لا يقتصر على الإحالة بواسطة الضمير، وإنما تنشأ الإحالة باستخدام أدوات أخرى، منها أداة التعريف، فإذا قرأنا الحوار الآتي:

Don't go Now, The Train is Coming

لاحظنا أن المتكلم استخدم أداة التعريف the للإحالة إلى قطار معين للمتحدث والمتلقي، وكان قد سلف الحديث عنه»(٣).

وقد تعرض النحويون والبلاغيون للتعريف بأل، وأشاروا إلى أنواع (أل)، ودورها في ربط الكلام بعضه ببعض(٤)، بحيث لا يقتصر دورها على مجرد التحول

(١) الكتاب، سيبويه (١/ ٢٢٠).
(٢) ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش(٣/ ٣٥١).
(٣) في نظرية الأدب وعلم النص (بحوث وقراءات)، إبراهيم خليل، ص(٢٣٧).
(٤) ينظر: الإحالة في ضوء لسانيات النص وعلم التفسير من خلال تفسير التحرير والتنوير، الزهرة توهامي، ص(٩٧).

بالاسم من حال التنكير إلى حال التعريف، بل تتجاوز ذلك إلى القيام «بالربط بين الجمل ربطًا يشبه الإحالة كالضمير، من حيث إنها تذكر السامع، أو القارئ بشيء سبق ذكره، أو شيء معروف في الذهن جرى الكلام عليه، أو الإشارة له في السياق»(١).

وقد تنوعت الإحالة بالتعريف في قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم بين التعريف بـ(أل)، والتعريف بالإضافة، على النحو الآتي:

١ - التعريف بـ(أل):

وقعت الإحالة عن طريق التعريف بأل في مواضع متعددة من قصة موسى عليه السلام، منها قوله تعالى: ﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ ﴾ [المزمل: ١٦]. فإن لفظة ﴿ٱلرَّسُولَ﴾ التي جاءت معرفة بـ(أل) هنا تحيل إلى لفظة رسول التي وردت نكرة في قوله تعالى: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾ [المزمل: ١٥]. وهي إحالة نصية قبلية؛ لأن العنصر المحال إليه قد سبق العنصر المحيل في الذكر، و(أل) الداخلة على العنصر المحيل (الرسول) هي (أل) العهدية، والعهد لفظي لتقدم لفظ (رسول) في النص، وفي هذا يقول الطاهر بن عاشور: «لما جرى ذكر الرسول المرسل إلى فرعون أول مرة جيء به في ذكره ثاني مرة معرفًا بلام العهد، وهو العهد الذكري، أي: الرسول المذكور آنفًا، فإن النكرة إذا أعيدت معرفة باللام كان مدلولها عين الأولى»(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾

(١) في نظرية الأدب وعلم النص، إبراهيم خليل ص(٢٣٦).
(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٩/ ٢٧٤).

[الكهف:٨٠-٨٢]. فأدت الإحالة بالتعريف دورها في تماسك النص واتساقه في قصة موسى والخضر هنا في موضعين:

أحدهما: «الغلام» الذي يحيل إلى قوله تعالى: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾ [الكهف:٧٤]. حيث تقدمت لفظة (غلام) أول الأمر نكرة، ثم جاءت في ثاني الحال معرفة بـ(أل)؛ لتحيل إلى النكرة التي تقدمت إحالة قبلية ترفع ما أحاط بها من غموض وإبهام؛ وتزيل ما أصاب موسى عليه السلام من الحيرة بشأن ما وقع للغلام من القتل.

وثانيهما: «الجدار» الذي يحيل إلى قوله تعالى: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [الكهف: ٧٧]. حيث وردت لفظة ﴿جِدَارًا﴾ في هذه الآية نكرة، ثم عرفت فيما بعد في قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ﴾ إلخ؛ لتحيل الثانية إلى الأولى؛ فيتسق النص بعضه ببعض، ويتأكد تماسكه وتلاحم لبناته.

٢- التعريف بالإضافة:

تحدث البلاغيون عن التعريف بالإضافة، وبينوا أنه إنما يصار إلى هذا النوع من التعريف عندما لا يكون هناك طريق لإحضار المتحدَّث عنه إلى ذهن السامع سوى طريق الإضافة، أو حين يكون طريق الإضافة هو أخصر الطرق لإحضار المتحدث عنه إلى الذهن، والمقام مقام اختصار[(١)].

وقد جاء في قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ [طه: ٧٠]. فأحالوا إلى الله تعالى عن طريق تعريف لفظة (رب) بإضافتها إلى هارون وموسى عليهما السلام؛ لأن الله تعالى «لم يكن يُعرف بينهم يومئذ إلا بهذه النسبة؛ لأن لهم أربابًا يعبدونها ويعبدها فرعون»[(٢)].

(١) ينظر: مفتاح العلوم، ص(١٨٦).
(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٦/ ٢٦٢).

وتكرر هذا النمط الإحالي في قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢١ - ١٢٢]. وقد قدموا هنا موسى على هارون، في حين قدموا في الآية السابقة هارون على موسى؛ وهو ما يدل على أن موسى وهارون في نظرهما سواء، لا فضل لأحدهما على الآخر؛ ومن ثم وقع العطف في الآيتين بالواو العاطفة التي «لا تفيد أكثر من مطلق الجمع في الحكم المعطوف فيه، فهم عرفوا الله بأنه رب هذين الرجلين، فحكى كلامهم بما يدل على ذلك»[(١)]، ويؤكد أن طريق التعريف بالإضافة كان هو الطريق الوحيد للتعريف في هذا المقام[(٢)].

وقال تعالى: ﴿ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗ ﴾ [الأحقاف: ١٢]. فأحال إلى التوراة عن طريق التعريف بالإضافة ﴿ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ ﴾؛ لأن هذه الإضافة تذكر الكفار والمعاندين من أهل الكتاب وغيرهم بأن التوراة قد أنزلها الله تعالى على بشر اصطفاه من خلقه؛ وهو ما يدحض طعنهم في القرآن الكريم بزعم أنه منزل على بشر[(٣)].

وهكذا كان للإحالة بالتعريف حضورها في قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم تارة بالتعريف بـ(أل)، وتارة بالتعريف بالإضافة، وهي في هذا وذاك كان لها دورها الواضح في تماسك النص، وإثراء دلالاته.

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٦/ ٢٦٢).
(٢) ينظر: الإحالة في ضوء لسانيات النص، ص(١٥٠).
(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٦/ ٢٤).

الخاتمة

في نهاية المطاف مع أنماط الإحالة في القصص القرآني من خلال قصة موسى عليه السلام، يمكن إبراز أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة على النحو الآتي:

١- أكدت الأنماط الإحالية في قصة موسى عليه السلام قدرة الإحالة على تحقيق الاتساق النصي، ودورها في توفير الانسجام والتماسك النصي، وإثراء العنصر الدلالي.

٢- للإحالة أثر بارز في تحديد دلالة الجملة وضبطها، وإزالة ما قد يلبس بها، ووصل النص اللغوي بالسياق.

٣- المعنى الإحالي لا يخضع لقيود نحوية، بل يخضع لقيود دلالية.

٤- تقوم الإحالة بدور أساسي في ربط أجزاء الجملة الواحدة من ناحية، وربط عدة جمل مع بعضها البعض.

٥- الإحالة بأنواعها المختلفة تسهم في تعليق الكلام بعضه ببعض، وتعتبر الضمائر أكثر الأدوات الإحالية تحقيقًا للتماسك والترابط.

٦- كشف البحث عن وجوه الإعجاز القرآني من خلال تماسكه، بتحليل عناصر الإحالة وبيان آثارها.

٧- تنوعت أدوات الإحالة في قصة موسى عليه السلام بين إحالات ضميرية، وأخرى إشارية، وثالثة بالاسم الموصول، ورابعة بالتعريف والتحديد.

٨- تعددت أنماط الإحالة الضميرية في قصة موسى عليه السلام بين إحالة إلى معين، وأخرى إلى غير معين، والإحالة إلى معين كان منها ما هو إلى معين صريح، وما هو غير صريح؛ كما كان من الإحالات الضميرية ما هو قبلي، وما هو بعدي، وكان من الإحالات القبلية ما أحال إلى متقدم في اللفظ والرتبة معًا، ومنها ما أحال إلى متقدم في اللفظ، متأخر في الرتبة، ومن الإحالات البعدية ما أحال إلى متأخر لفظًا، متقدم رتبة، ومنها ما أحال إلى متأخر لفظًا ورتبة.

٩- تنوعت الإحالات الإشارية في قصة موسى عليه السلام فكان منها إحالات قبلية، وأخرى بعدية، كما تنوعت أيضًا إلى إحالات خارجية وأخرى داخلية.

والله تعالى ولي التوفيق.

المصادر والمراجع

١- **الإتقان في علوم القرآن**، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د. ط) ١٩٧٤م.

٢- **الإحالة النصية وأثرها في تحقيق تماسك النص القرآني – دراسة تطبيقية على بعض الشواهد القرآنية**، بوترعة، عبد الحميد، مجلة الأثر (عدد خاص: أشغال الملتقى الوطني الأول حول: اللسانيات والرواية، يومي ٢٢، ٢٣ فبراير ٢٠١٢م).

٣- **الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النص القرآني**، إسماعيل، نائل محمد، مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية، ٢٠١١م، المجلد (٣) العدد: ١ (B).

٤- **الإحالة في النص القرآني**، أحمد، ياسين فوزي، رسالة ماجستير، الأردن، جامعة اليرموك – كلية الآداب، ١٤٢٧هـ.

٥- **الإحالة في ضوء لسانيات النص وعلم التفسير من خلال تفسير التحرير والتنوير**، الزهرة توهامي، ماجستير، معهد الآداب واللغات، الجزائر، البويرة، المركز الجامعي أكلي محند أولحاج، ٢٠١٠-٢٠١١م.

٦- **الإحالة في نحو النص**، عفيفي، د. أحمد، منشور إلكترونيًّا على موقع كتب عربية، www.kotobarabia.com.

٧- **أسماء الإشارة في السياق القرآني: دراسة نحوية دلالية**، الدروجي، أحمد، آمال سليمان، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.

٨- **الأصول في النحو**، ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، لبنان – بيروت، مؤسسة الرسالة.

٩- **إعراب القرآن وبيانه**، الدوريش، محيي الدين، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، ط:٩، ٢٠٠٥م.

١٠- **الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل**، المرداوي، أبو الحسن علي بن سليمان، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

١١- **البحر المحيط**، الأندلسي، أبو حيان، تحقيق: الشيخ عادل عبد الموجود وآخرين،

بيروت، دار الكتب العلمية، ط:١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
١٢- **البلاغة العربية**، الدمشقي، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني، دمشق، دار القلم، بيروت، الدار الشامية، ط: ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
١٣- **بناء الجملة العربية**، عبد اللطيف، د. محمد حماسة، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠٠٣م.
١٤- **بيان المعاني**، العاني، عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي، دمشق، مطبعة الترقي، ط:١، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٥م.
١٥- **البيان في روائع القرآن: دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني**، د. تمام حسان، القاهرة، عالم الكتب، ط:١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
١٦- **تاج العروس من جواهر القاموس**، الزبيدي، محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى، تحقيق: محمود محمد الطناحي، التراث العربي، سلسلة تصدرها وزارة الأعلام، الكويت، (د. ط) ١٩٩٣م.
١٧- **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، محمد الطاهر، تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م.
١٨- **تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد**، الأنصاري، ابن هشام، تحقيق: د. عباس الصالحي، بيروت، المكتبة العربية، ط: ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١٩- **التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل**، الأندلسي، أبي حيان تحقيق: د. حسن هنداوي، ط: ١، دمشق، دار القلم، دار كنوز إشبيليا.
٢٠- **التسهيل لعلوم التنزيل**، ابن جزي، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، ط: ١، بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤١٦هـ.
٢١- **تفسير أبي السعود المسمى بإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، أبو السعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
٢٢- **تفسير الطبري**، الطبري، محمد بن جرير، تحقيق: عبد الله التركي، عبد المحسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر، ٢٠٠١م.

٢٣- **تفسير الفخر الرازي المشتهر بـ«التفسير الكبير ومفاتيح الغيب»**: الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر، ط: ٣، بيروت، طبعة دار الفكر.

٢٤- **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**، النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ط: ١، بيروت، دار الكلم الطيب، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٢٥- **تهذيب اللغة**، الأزهري، تحقيق: عبد السلام هارون، ط:١، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

٢٦- **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، ط:١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٧- **حاشية الخضري على شرح ابن عقيل**: الخضري، محمد بن مصطفى، ط: ١، دار الفكر، ٢٠٠٣م.

٢٨- **حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي**، الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي، بيروت، دار صادر.

٢٩- **حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، أبو العرفان محمد بن علي، د.ط، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، د. ت.

٣٠- **الحيوان**، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، ط:٢، القاهرة، طبعة الحلبي، ١٩٦٨م.

٣١- **الدر المصون**، السمين الحلبي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض وآخرين، ط: ١، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.

٣٢- **دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة**، بحيري، د. سعيد حسن، ط:١، القاهرة، مكتبة الآداب، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٣٣- **دلائل الإعجاز**، الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، تحقيق: محمد التنجي، ط:١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٩٥م.

٣٤- **دلالات التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني**، أبو موسى، د. محمد حسنين، ط:١، بنغازي – ليبيا، منشورات جامعة قاريونس، ١٩٧٩م.

٣٥- **الروابط النصية في السور المدنية**، عبد المعبود، عبد الرحمن محمد حسين، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
٣٦- **روح المعاني**، الألوسي، أبو الثناء شهاب الدين محمود، ط: ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٣٧- **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، الشربيني، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب، القاهرة، مطبعة بولاق (الأميرية)، ١٢٨٥هـ.
٣٨- **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، الأشموني، علي بن محمد، تحقيق: محمد محي الدين، ط: ١، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٥م.
٣٩- **شرح التسهيل المسمى «تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد»**، ناظر الجيش، محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي المصري، دراسة وتحقيق: أ. د. علي محمد فاخر وآخرون، ط: ١، القاهرة - جمهورية مصر العربية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ١٤٢٨هـ.
٤٠- **شرح التسهيل**، ابن مالك، تحقيق: عبد الرحمن السيد، ود. محمد بدوي المختون، ط: ١، القاهرة، دار هجر، ١٩٩٠م.
٤١- **شرح التصريح على التوضيح**، الأزهري، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد، ط١: بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٤٢- **شرح الرضي على الكافية**، النحوي، رضي الدين محمد بن الحسن الإستراباذي، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، ط: ٢، ليبيا، جامعة بنغازي، ١٩٩٦هـ.
٤٣- **شرح الكافية الشافية**، ابن مالك، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، ط: ١، مكة المكرمة، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.
٤٤- **شرح المفصل**، ابن يعيش، موفق بن علي، القاهرة، مكتبة المتنبي، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.
٤٥- **شرح ديوان المتنبي**، العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، بيروت، دار المعرفة.
٤٦- **شرح الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، الجوهري، أبو النصر بن إسماعيل بن حماد،

تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط: ٤، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.

٤٧- **صفوة التفاسير**، الصابوني، محمد علي، ط: ١، القاهرة، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٤٨- **ضياء السالك إلى أوضح المسالك**، النجار: محمد عبد العزيز، مطبعة السعادة، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٤٩- **ظواهر تركيبية في مقايسات أبي حيان التوحيدي: دراسة في العلاقة بين البنية والدلالة**، بحيري، د. سعيد حسن، ط: ١، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٦م.

٥٠- **علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق**، فقي، إبراهيم، د. ط، القاهرة، دار قباء، ٢٠٠١م.

٥١- **في نظرية الأدب وعلم النص (بحوث وقراءات)**، خليل، إبراهيم، ط: ١، بيروت، الدار العربية للعلوم، ٢٠١٠م.

٥٢- **القاموس المحيط**، الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، بيروت، مؤسسة الرسالة.

٥٣- **الكتاب**، سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٨م.

٥٤- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، الزمخشري، ط:١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي.

٥٥- **اللباب في علوم الكتاب**، الحنبلي، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وزميله، د. ط، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٥٦- **لسان العرب**، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ط: ٣، بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ.

٥٧- **لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)**، خطابي، محمد، ط:١، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩١م.

٥٨- **اللغة**، جوزيف فندريس، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، د. ط، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠م.

٥٩- **اللمع في العربية**، ابن جني، أبو الفتح عثمان، تحقيق: فائز فارس، ط:٢، إربد، دار الأمل، ٢٠٠١م.
٦٠- **محاسن التأويل**، القاسمي، ط: ٢، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
٦١- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: ١، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
٦٢- **المحكم والمحيط الأعظم**، ابن سيده، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج وآخرين، مصر، مصطفى البابي الحلبي.
٦٣- **مرجع الضمير في القرآن الكريم**، د. محمد حسنين صبرة، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠١م.
٦٤- **مرجع الضمير في القرآن الكريم، صوره وقواعده، دراسة تحليلية تطبيقية في ضوء معطيات الدرس النحوي الحديث**، العشيري، صلاح عبد المعز أحمد، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة (فرع الفيوم)، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٦٥- **المعجم الوسيط**، إخراج: مجمع اللغة العربية، القاهرة - مصر، دار المعارف، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
٦٦- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ابن هشام، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، صيدا - لبنان، المكتبة العصرية، ١٩٨٧م.
٦٧- **مفتاح العلوم**، السكاكي، طبعة عيسى الحلبي.
٦٨- **المفصل في صنعة الإعراب**، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله، تحقيق: علي بوملحم، ط: ١، بيروت، مكتبة الهلال، ١٩٩٣م.
٦٩- **المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية**، محمود بن أحمد العيني، بيروت، دار صادر.
٧٠- **مقاييس اللغة**، ابن فارس، أحمد بن زكريا القزويني، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط: ١، بيروت، دار الجيل، ١٩٩١م.
٧١- **المقتضب**، المبرد، تحقيق: د. محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٣٨٢هـ.

٧٢- **مقدمة النص والخطاب والإجراء**، بوجراند، روبرت دي، ترجمة: تمام حسان، ط:١، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٨م.

٧٣- **مناهل العرفان في علوم القرآن**، الزرقاني، محمد عبد العظيم، ط: ١، لبنان، دار الفكر، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٧٤- **النحو المصفي**، د. محمد عيد، القاهرة، مكتبة الشباب.

٧٥- **نحو النص، اتجاه تجديد في الدرس النحوي**، عفيفي، أحمد، ط: ١، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠١م.

٧٦- **النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي – الدلالي**، عبد اللطيف، د. محمد حماسة، ط:١، دار الشروق، ٢٠٠٠م.

٧٧- **النحو الوافي**، عباس حسن، ط:١٥، دار المعارف، دار المعارف، د.ت.

٧٨- **نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصًّا**، الأزهر الزناد، ط: ١، بيروت، المركز الثقافي العربي، والدار البيضاء، ١٩٩٣م.

٧٩- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية، ١٩٧٩م.

٨٠- **همع الهوامع شرح جمع الجوامع**، للسيوطي، ط: ١، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٢٧هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص	٣٦٤
المقدمة	٣٦٥
مفهوم الإحالة	٣٦٨
الإحالة وحضورها في القران الكريم	٣٧٢
الإحالة الضميرية	٣٧٢
الإحالة الضميرية إلى معين	٣٧٥
الإحالة الضميرية إلى غير معين	٣٧٩
الإحالة الضميرية القبلية	٣٨١
الإحالة الضميرية البعدية	٣٨٥
الإحالة الإشارية	٣٩٠
الإحالة الإشارية القبلية	٣٩٣
الإحالة الإشارية البعدية	٣٩٦
الإحالة الإشارية الخارجية	٣٩٧
الإحالة الإشارية الداخلية	٤٠٠
الإحالة بالموصول	٤٠٣
الإحالة بالتعريف	٤١١
التعريف بأل	٤١٣
التعريف بالإضافة	٤١٤
الخاتمة	٤١٦
فهرس المصادر والمراجع	٤١٨
فهرس الموضوعات	٤٢٥